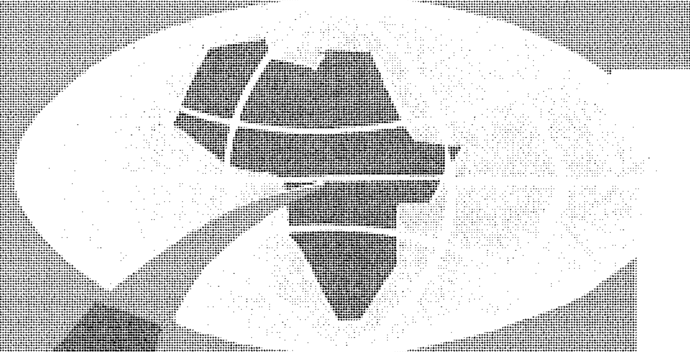
المكتبة الأفريقية



صفحات من تاريخ الصومال

[redacted] داح محمد فرح السيحي

دار المعارف

المكتبة الأفريقية

صفحات من تاريخ الصومال

عميد أح محمد فريد السيد حجاج

دار المعارف

الناشر : دار المعارف – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة ج . م . ع .

المحتويات

صفحة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

فى أثناء زيارتى لجمهورية الصومال ، لاحظت الحب والتقدير من الشعب الصومالى للشعب المصرى ، وبلدنا الحبيب مصر ، وهم لا ينسون استشهاد «كمال صلاح الدين» عام ١٩٦٠ فى سبيل استقلال الصومال ، ومعاونة مصر لهم بالسلاح والعتاد فى حوادث الحدود مع الحبشة عام ١٩٦٤ ، ووقفة مصر معهم خلال حربهم فى الأوجادين والصومال الغربى عام ١٩٧٧ م ، كما أن الشعب الصومالى لا ينسى رحلة «الملكة حتشبسوت» إلى بلاده .

ولهذا فقد وجدت أن أقدم صفحات من تاريخ الصومال ، واخترت ثلاث مراحل فى تاريخ الصومال ، فبدأت بجزء من تاريخ الصومال فى العصور الوسطى والصراع بين الصومال والحبشة ، وهو الصراع الذى ما زال مستمرًا حتى الآن ، ثم تكلمت فى الفصل الثانى عن الغزو الاستعمارى لأراضى الصومال ، وكيف وقع بين براثن الاستعمار ، وكيف تمزق يمنهم إلى خمسة أجزاء ، وتحدثت عن ثورة «محمد بن عبد الله حسن» والتى أطلق عليها (ثورة الدراويش) ، وكيف أن بعد نجاحها فشلت بسبب التدخل الأجنبى .

وفى الفصلين الثالث والرابع تحدثت عن تاريخ الصومال الحديث وقد ركزت على التجربة الحزبية فى الصومال وقد تناولت التجربة الحزبية فى جمهورية الصومال الديمقراطية ، وهى التى تكونت من الصومال الإنجليزى والصومال الإيطالى مبينًا تكوين أحزابها وسماتها المميزة ، وقد فصلت التجربة الحزبية قبل قيام ثورة أكتوبر ١٩٦٩ م عن التجربة بعد قيام تلك الثورة ، لاختلاف الظروف والملابسات فى كل منهما .

لذلك أرجو أن أكون قد وفقت فى عرض هذه الصفحات من تاريخ الصومال .

والله الموفق .

عميد ا.ح محمد فريد السيد حجاج

الفصل الأول

الصراع بين الصومال والحبشة

دخول الإسلام فى الصومال وتأسيس الإمارات الزيلعية :

دخل الإسلام فى الصومال منذ أيامه الأولى ، وبدخوله انتهت تقريبًا فترة الهدوء والاستقرار اللذين خيما على الصومال حقبة من الزمن وتحديد تاريخ دخول الإسلام فى الصومال من النقط الهامة لأنه له علاقة قوية ووثيقة بنضال شعب الصومال . وفى الواقع ، إن تاريخ دخول الإسلام فى الصومال هو موضع اختلاف كثير من الكتاب والمؤرخين المعاصرين ، فاختلفت آراؤهم ، وتباينت وجهات نظرهم ، لعدم توفر المعلومات الكافية التى تحدد ذلك التاريخ ، والمعتقد أن أرجح الأدلة وأقربها إلى الحقيقة ماذهب إليه بعض المؤرخين من أن الإسلام ظهر فى الصومال قبل هجرة الرسول إلى المدينة المنورة عن طريق الصحابة المهاجرين إلى الحبشة .

وأوضح دليل على أقدمية الصومال فى الإسلام[1] المخطوطات العربية التى عثر عليها فى بعض مقابر « مقديشيو » والتى يعود تاريخها إلى بداية العصر الإسلامى ومن أقدمها خط عربى يعلوه « بسم الله الرحمن الرحيم » عثر عليه على قبر سيدة تدعى « فاطمة بنت عبد الصمد يعقوب » المتوفاة فى عصر يوم السبت ٢٢ جمادى الأولى سنة ١٠١ هجرية ، وآخر على قبر سيدة تدعى « حاجة بنت مقدام محمد » المتوفاة فى

---

(١) عمر الحاج تاريخ الصومال .

٥ ذى الحجة سنة ١٣٨ هجرية .

وإذا فرضنا أن متوسط العمر لكل من « فاطمة » ، ووالدها عبد الصمد ، وجدها يعقوب هو ٤٠ سنة ، فمن المؤكد أن «يعقوب» ولد قبل الهجرة بعشر سنوات والفرق بين تاريخي وفاة «فاطمة عبد الصمد» ، «وحاجة بنت مقدام» ٣٧ عاماً . والجدير بالإشارة أن اسمى (حاجة ، ومقدام) لا يزالان كثيرى الاستعمال عند أهل «مقديشيو» حتى يومنا هذا .

ولا شك أن العثور على آثار إسلامية ذات قيمة تاريخية أمر محتمل جداً إذا ما أجريت حفريات وأبحاث أثرية فى مدن الصومال القديمة . وخلاصة القول فإن كل الدلائل تشير إلى أن الإسلام دخل فى الصومال قبل الهجرة المحمدية إلى المدينة المنورة .

ولقد تم استعراض هذه اللمحة الموجزة الخاصة بدخول الإسلام إلى الصومال نظرًا لأن حركات التحرير الصومالية ، وظهور الإسلام فيها متلازمان ، وعليه فإن تحديد تاريخ مجىء الإسلام فى الصومال يعنى تحديد تاريخ بدء حركة النضال المسلح فى الصومال على أساس مبادئ فكرية واضحة المعالم .. أساسها العقيدة الإسلامية التى كانت محور النزاع بين الصوماليين من جانب ، وبين الأحباش وحلفائهم الأوربيين من جانب آخر .

لقد ظهر الدين الإسلامى فى وسط يتيح له الفرصة لانتشاره بيسر وسهولة ، إذ كان يحيطه من الشمال الغربى ، الحبشة المسيحية ، وفى الغرب جاله الوثنية ، التى لم تستقبله بترحاب على أقل تقدير،وكان لزاماً على الشعب الصومالى – الذى آمن بهذا الدين عن اقتناع كعقيدة – أن يحمل راية الدعوة للدين الإسلامى ومشعله المضىء فى منطقة قرن أفريقيا . ومن الطبيعى أن ينتج عن ذلك احتكاكات واصطدامات بين الدعاة الصوماليين لهذه العقيدة والأحباش ، غير أنه يبدو أن فترة قد مضت دون أن تجد الحبشة فرصة لمحاربة انتشار الإسلام ومقاومته لسببين رئيسيين :

١ – انشغال الحبشة بالصراع الدموى الذى قام بين المسيحيين واليهود الذين اغتصبوا عرش الحبشة من سنة ٩٢٥ – ١٢٥٥ م .

٢ – لم يكن للحبشة تنظيم سياسى ، ولا حكومة مركزية قوية ، وكانت عبارة عن سلطنات يتولى شئون كل منها حاكم خاص بها ، مما جعلها عاجزة عن الوقوف أمام التيار الجارف للعقيدة الإسلامية التى تبشر بالعدالة والمساواة والحرية وتحمل البساطة والسهولة بخلاف الفساد والظلم المنتشر فى الحبشة آن ذاك .

هذه العوامل مجتمعة غيرت مجرى الأمور وخلقت مجالا أوسع لانتشار الدين الإسلامى بصورة لم تتوقع من قبل ، فتأسست (الإمارات الزيلعية السبع) أو دول الطراز الإسلامى التى كانت فى صراع مستمر مع الحبشة لفترة طويلة من الزمن ، هذه الإمارات هى :

١ – إيفات . ٢ – دواوا . ٣ – أرابينى . ٤ – هديا .
٥ – شرخا . ٦ – بالى . ٧ – درة .

ويرجع الفضل فى تأسيس الإمارات إلى المهاجرين العرب ، والإمارات السبع كانت عبارة عن سبع محافظات يتولى شئون كل منها حاكم صومالى مستقل ذاتيًّا أو مستقل استقلالا كاملا فى بعض الأحيان ، وذلك إذا تولى حكم « زيلع » حاكم ضعيف التى كانت أيضاً منفذاً بحريًّا تجاريًّا هامًّا يربط بين الصومال والعالم الخارجى .

وقد أحرزت هذه الإمارات تقدماً فى الميدان السياسى والاقتصادى والاجتماعى وعرفت المنطقة لأول مرة حكماً إسلاميًّا أساسه الحرية والعدالة والديمقراطية الحقة بمفهومها الواسع الشامل ، وازدهرت التجارة نتيجة الاستقرار وتأمين طرق المواصلات البرية ، التى تربط الإمارات بميناء « زيلع » وقد وصلت البلاد إلى مستوى عظيم من الرقى والتقدم الحضارى ، واحتفظت الثقافة الإسلامية بمركزها فى الإمارات بعد الاحتلال الحبشى لها حتى أواخر القرن الماضى .

فقد روى الرحالة الألمانى « فاينل رابيل » أنه كثيراً ما لاحظ فى أثناء رحلاته فى بلاد الحبشة فى العصر الحديث أنه عندما كان يخلو منصب من المناصب التى تتطلب أن يكون الشخص الذى يشغله أميناً كان الاختيار يقع على شخص مسلم ، ويقول ويرجع ذلك إلى أن المسلمين يعلمون أولادهم القرآن والكتابة مما لا يستطيع أن يفعله الأحباش .

ولقد كان من نتيجة ما ذكرناه ، ظهور حالة اقتصادية متقدمة ، ومستوى رفيع من المعيشة ، مما جعل الصوماليين ينعمون فيها فانصرفوا عن مبادئهم الرامية إلى نشر الدين الإسلامى ، وانشغلوا بدلا منه بخدمة مصالحهم الشخصية ، وتدعيم مراكزهم السياسية ، والتنافس فى الحكم مما خلق الكراهية والبغضاء بين حكام (الإمارات الزيلعية) ، وفرق كلمتهم وأضعف التعاون فيما بينهم ، فقد روى « ابن فضل الله العمرى » فى كتابه (مسالك الأبصار) عن « عبد الله الزيلعى » الذى زار مصر فى عام ٧٥٢هـ ، أن سبب ضعف هذه الإمارات وتغلب (ملك الأمهرا) عليها يرجع إلى تفرق كلمتها والبغضاء والتحاسد بين ملوكها مع أنهم لو اتحدوا وتكتلوا فى جبهة واحدة لأمكنهم الصعود فى وجه الأحباش .

وقد انتهز الأحباش فرصة ضعف الصوماليين فى (الإمارات الزيلعية) نتيجة الخلافات السياسية ، فى حين توحد الأحباش ونظموا أنفسهم بعد انتزاع السلطة من أيدى اليهود ، ولقد كان لتأسيس (الإمارات الزيلعية) التى يسيطر عليها الصوماليون المسلمون أثر سيئ فى نفوس حكام الأحباش ، إذ اعتبروهم مزاحمين ومنافسين يشكلون خطراً على سلطتهم وعلى الديانة المسيحية فنظروا إليهم نظرة خوف وفزع ؛ فشنوا هجمات متتالية على الإمارات لكل على حدة واستهدفوا (إمارة إيفات) كبرى الإمارات فسقطت الواحدة تلو الأخرى .

وتعرض « القلقشندى » للحديث عن سقوط الإمارات الصومالية فقال إن ملك

الحبشة قد أتى على كل هذه الممالك « الإمارات » وضربها ومثل بأهلها ولم يبق من ملوكها سوى « ابن سنار » الذى كان يدفع أتاوة مقررة كل عام « وسلطان سعد الدين » صاحب زيلع وملحقاتها وهو عاص له خارج عن طاعته فكثرت بينهما الحروب التى كان النصر فيها دائماً « للسلطان سعد الدين » – وحصر الحكام الصوماليين « لزيلع » وملحقاتها بدأ من القرن الثانى عشر الميلادى كالآتى[1] :

الاسم	من		إلى
عمر دانية هور	١١٨٤	–	١٢٦٤
الأمير يرووى	١٢٦٤	–	١٢٧٤
حق الدين بن عمر	١٢٧٤	–	١٢٨١
الأمير حسين	١٢٨١	–	١٢٨٦
الأمير نصر الدين	١٢٨٦	–	١٢٩١
الأمير منصور بن بداوى	١٢٩٣	–	١٢٩٨
الأمير جمال الدين	١٢٩٨	–	١٣٠٥
الأمير أبيت	١٣٠٠	–	١٣٠٢
الأمير زبير	١٣٠٧	–	١٣٠٩
الأمير مانت ليل	١٣٠٩	–	١٣١١
الأمير خير الدين	١٣١١	–	١٣١٦
الأمير فاظ على	١٣١٦	–	١٣٥٦
الأمير حرب أرعد	١٣٥٦	–	١٣٥٨
حق الدين بن حرب	١٣٥٨	–	١٣٦٨

(١) عمر الحاج بتاريخ الصومال .

الاسم	من		إلى
سلطان سعد الدين	١٣٦٨	—	١٣٩٧
صبر الدين سعد الدين	١٣٩٧	—	١٤٠٦
منصور بن سعد الدين	١٤٠٦	—	١٤٠٧
جمال الدين	١٤٠٧	—	١٤١٤
برلاى	١٤١٥	—	١٤٣١
محمد بن بدلاى	١٤٣١	—	١٤٥٨
إبراهيم بن محمد أورعى	١٤٥٨	—	١٤٥٩
شمس الدين	١٤٥٩	—	١٤٦٩
إبراهيم فاه نصر اللين	١٤٦٩	—	١٤٧٣
محمد بن أزر	١٤٧٣	—	١٥٠٣
محمد بن أبو بكر	١٥٠٣	—	١٥٠٤
إبراهيم بن أحمد	١٥٠٤	—	
وسنى	١٥٠٤	—	
منصور بن محمد	١٥٠٤	—	
جراد أبون أوسن	١٥٠٥	—	١٥١٢
سلطان أبو بكر	١٥١٢	—	
الإمام أحمد	١٥١٢	—	١٥٣٩
الأمير نور بن مجاهد	١٥٣٩	—	١٥٥٤
الأمير عثمان فلط	١٥٥٤	—	١٥٥٧
الأمير طلحة	١٥٥٧	—	١٥٥٨
الأمير نصر الدين عثمان	١٥٥٨	—	١٥٦٠

الاسم	من		إلى
الأمير محمد بن نصر الدين	١٥٦١	–	١٦٣٧
الأمير على	١٦٣٧	–	١٦٥٣
الأمير هاشم	١٦٥٣	–	١٦٦١
الأمير عبد الله	١٦٦١	–	١٦٩١
الأمير طلحة	١٦٩١	–	١٧١٣
الأمير أبو بكر	١٧١٤	–	١٧٢٥
الأمير خلف	١٧٢٥	–	١٧٢٦
الأمير حامد حفيد الغازى	١٧٢٦	–	١٧٤٠
الأمير يوسف	١٧٤٠	–	١٧٤٩
الأمير أحمد بن حامد	١٧٤٩	–	١٧٨٧
الأمير محمد	١٧٨٧	–	
الأمير عبد الشكور	١٧٨٨	–	١٧٩٠
الأمير أحمد	١٧٨٩	–	
الأمير عبد الرحمن	١٨١٦	–	١٨٢٠
الأمير عبد الكريم	١٨٢٠	–	١٨٢٩
الأمير أبو بكر	١٨٣٠	–	١٨٤٨
الأمير أحمد	١٨٤٨	–	١٨٥٢
الأمير أحمد	١٨٥٢	–	١٨٧١

ثم استولى المصريون على (هرر) وبقوا على الحكم عشر سنوات ، ومرة أخرى رجع الحكم فى يد الأمير عبد الله فى سنة ١٨٨٢ – ١٨٨٣ .

بدء الصراع بين الصومال والحبشة :

والحقيقة لا يمكن تحديد بالضبط متى بدأت الحروب الصومالية الحبشية ، فربما قد بدأت فى وقت بعيد ، غير أن حدتها قد اشتدت فى مطلع القرن ١٣ الميلادى ، كما أن ملوك الصومال الذين حكموا (زيلع) وملحقاتها وخاصة فى عهد « عمر دنيه هور » الذى شمل حكمه جميع أنحاء الصومال ، وازدهرت فيه التجارة ، وانتشر التعليم ، وتقدم العمران ، وشيدت فيه أغلب مساجد مقديشيو القديمة ، بدأ فى تدوين الحروب الصومالية الحبشية .

ومن أبرز الأسباب التى أدت إلى نشوب القتال بين الصوماليين والأحباش ، سقوط حكم (الأسرة الأجوية) الضعيفة والعاجزة عن إيجاد حكم مركزى قوى يوحد أمراء الأحباش فى المناطق المختلفة ، واعتلاء (الأسرة السلمانية) على العرش ، واستطاعت هذه الأسرة أن تخضع لنفوذها أشتاتاً من الممالك الصغيرة ، هذا من جهة ومن جهة أخرى دب الضعف والتفكك فى حكام الإمارات (الزيلعية) الصومالية أو الإسلامية كما كانوا يسمونها .

ومن خلال دراسة نتائج الاتفاق الذى تم بين « عمر ولسمع » أمير زيلع وملحقاتها ، وبين « إيكونوا ملاك » ومراجعة تطورات الأحداث فى المنطقة تستطيع أن تقف على الأسباب التى أدت فى النهاية إلى اشتداد القتال بين الطرفين ، ذلك أن ضعف سلطة الأجويين فى أكسوم (نسبة إلى إقليم أجوا) بحيث لم تكن تتجاوز حول العاصمة ، قد أغرى إيكونوا ملاك بانتزاع السلطة من الأجويين وفى الوقت ذاته كان يسعى عمر ولسمع إلى ضم إمارة شوا[1] الإسلامية إلى أملاكه ، وفعلا غزا « عمر

(١) والجدير بالملاحظة أن مملكة شوا الإسلامية لم تكن معروفة لدى المؤرخين فى السباق وحتى اكتشف أمرها المستشرق الإيطالى « سيرولى » فى سنة ١٩٢٦ م وفاجأ العالم بنشر وثيقة كتبها مؤرخ عربى مجهول عاش فى الأحداث التى وقعت لهذه المملكة الإسلامية فى أيامها الأخيرة بين سنتى ٦٢٩ – ٦٨٨ هـ (١٢٣١ – ١٢٨٩ م) .

ولسمع » إمارة (شوا) واستولى عليها بالقوة ولا يستبعد أن يكون « أيكونوا ملاك » قد ساعده فى ذلك أو أيده على أقل تقدير مقابلٍ ذلك زود « عمر ولسمع » « إيكونوا ملاك » بالجنود والأسلحة لمحاربة الأسرة الأجوية والقضاء عليها ومصداقًا لذلك ورد فى خطاب أيكونوا ملاك إلى «الظاهر بيبرس» العبارة التالية (عند فى عسكر مائة ألف فارس مسلم) .

وعندما نجح « أيكونواملاك » ، وتربع على عرش الحبشة بمساعدة القوات الصومالية خرق الاتفاق ونقض العهد وأعلن حرباً على الإمارات (الزيلعية) الصومالية « وأيكونواملاك » هذا أول من ادعى أنه من سلالة « سليمان بن داود عليه السلام » .

وحينما تولى عرش الحبشة « عمد صميون » (١٣١٤ — ١٣٤٤ م) تعرضت إمارة (إيفات) أوسع الإمارات وأكثرها قوة لتهديدات خطيرة من جانب « عمد صميون » فقاتله « خير الدين » أمير « إيفات » وشن عليه معارك كثيرة عنيفة ومتتالية وقتل وأسر خلالها أعداداً ضخمة من الأحباش ولكنه وقع فى نهاية الأمر أسيراً فى أيدى الأحباش فأعدموه فى الحال .

وحينما تولى العرش فى الحبشة الملك « مواى كرستوى » (١٣٤٤ — ١٣٧٢ م) واصل الاعتداءات على إمارة (إيفات) وتصدى له « على بن خير الدين » ، ووقعت بينهما حروب طويلة انتهت بانتصار ملك الحبشة .

وتولى بعد ذلك حكم (إيفات) صبر الدين بن أحمد حفيد « على بن خير الدين » فأعلن حرباً شعواء على الحبشة وشن عليها هجمات متلاحقة أدت إلى انتصاره على الأحباش وقتل ملكهم .

وتولى الحكم فى الحبشة الملك « إسحاق الأول » (١٤١٤ — ١٤٢٩ م) ، فشن حرباً ضروساً على الصوماليين قتل واسترق فيها كثيرًا منهم وسلب ممتلكاتهم بعد أن انتصر عليهم ، ولكن هذا الانتصار لم يدم طويلاً ، فقد أعد « جمال الدين » جيشاً صومالياً

ضخماً لغزو الحبشة وألحق بها هزائم منكرة وأسر أعدادًا هائلة من الأحباش حتى امتلأت أسواق بلاد الهند واليمن والحجاز والشام والروم وفارس برقيق الحبشة ، واستطاع « شهاب الدين » الذى خلف « جمال الدين » أن يسترد إمارة بالى الصومالية وكانت قد سقطت فى يد الأحباش قبل ذلك الوقت ، وبينما كانت الحرب سجالاً بين الصوماليين والأحباش لفترة طويلة من الزمن ، وجد الأحباش أنفسهم فى مواجهة قوة جديدة متصاعدة وصلت إلى مرتبة كبيرة من القوة العسكرية بحيث يتعذر عليهم مقاومتها ، الأمر الذى دفعهم إلى البحث عن حليف قوى يناصرهم ويقف إلى جانبهم. فاضطر « الملك إسحاق » إلى الاتصال « بالبابا ، وملوك فرنسا ، وأسبانيا ، والبرتغال » يستنجدهم ويستثير مشاعرهم وعواطفهم الدينية للقضاء على دعاة الإسلام الصوماليين فى المنطقة وذلك بعد هزيمة الحبشة أمام الصوماليين ، وكان « إسحاق » هذا قد استقدم بعض الفنيين البرتغاليين لإنشاء مصنع للأسلحة كالسيوف والرماح والخناجر ، وانتهج ملوك الحبشة الذين تولوا الحكم بعده على هذه السياسة وكان « زرء يعقوب » قد بعث إلى مجمع فلورنسا (١٤٣٩ – ١٤٤٢ م) الذى عقد لتوحيد الكنيستين الشرقية والغربية وفداً لهذا الغرض . ولذا أصبحت فكرة الاستعانة بالباباوات وملوك أوربا سياسة تكاد تكون رسمية وثابتة للأحباش وانتهج على هذه السياسة « الإسكندر » (١٤٧٨ – ١٤٩٤ م) « وبئدمريم » (١٤٦٨ – ١٤٧٨ م) وكانت الملكة « هيلانة » زوجة « زرء يعقوب » والتى كانت القوة المحركة وراء العرش الحبشى وعاصرت أربعة من ملوك الحبشة أكثر إيماناً بضرورة الاستعانة بقوة خارجية لمحاربة المسلمين.

فأرسلت إلى لشبونة تاجراً أرمنيًّا يدعى « ماتيو » ، وحملته رسالة إلى ملك البرتغال ، وأرفقته بأحد نبلاء الأحباش وحملته بهدية من الصليب مصنوعة بقطعة من الخشب الثمين وفى أثناء الرحلة مات النبيل الحبشى وأتم الأرمنى الرحلة حتى وصل إلى لشبونة وقابل الملك « عمانويل » (١٤٩٥ – ١٥٢١ م) وكان لخطاب الملكة « هيلانة »

الذى عرضت على « عمانويل » مبدأ التحالف ضد المسلمين أكثر وقعاً فى نفوس البرتغاليين ... وهذا نصه[1] :

« بسم الله .. السلام على « عمانويل » .. سيد البحر .. وقاهر الغزاة المسلمين الكفرة .

تحياتى إليكم ... ودعواتى لكم .

لقد وصل إلى مسامعنا أن سلطان مصر جَهز جيشاً ضخماً ليضرِب قواتكم .. ويثأر من الهزائم التى ألحقها بها قوادكم فى الهند .. ونحن على استعداد لمقاومة الكفرة .. بإرسال أكبر قوة من جندنا فى البحر الأحمر .. وإلى ملكة أو جزيرة باب المندب .. إذا أردتم نسيرها إلى جسده أو الطور وذلك لنقضى تمامًا على جرثومة الكفرة .. ولعله حان الوقت لتحقيق النبوءة القائلة « وبظهور ملك مسيحى يستطيع فى وقت قصير أن يبدد الأمم الإسلامية المتبربرة » ، ولما كانت مملكتنا فى الداخل وبعيدة عن البحر الذى ليس لنا فيه قوة أو سلطان فإن الاتفاق معكم ضرورى ، إذ أنكم أهل بأس فى الحروب البحرية ولما اعتلى « لبناء دنجل » (١٥٠٨ – ١٥٤٠م) على عرش الحبشة جدد مطالبته بالتحالف مع البرتغاليين وترويده بالرجال والعتاد الحربى وذلك فى رسالة بعثها إلى ملك البرتغال كما بعث إلى البابا « كلمنت السابع » (١٥٢٣ – ١٥٣٤م) رسالة أبدى فيها مخاوفه على مستقبل المسيحية فى الحبشة ، والتمس منه استخدام نفوذه فى ملوك أوربا فى مقابل تبعية الكنيسة الحبشية للكنيسة الرومانية الغربية وتنفيذاً لهذا الوعد نصب « ليبناء دنجل » الأسقف « برمودز » بطريقاً على الحبشة وهو برتغالى ، وفى الحال سافر إلى لشبونة وقابل « الملك جون الثالث » وقدم له تقريرًا عن حالة المسيحية فى الحبشة وانهيارها أمام انتصار المسلمين الساحق وحمل الملك « برمودز » بخطاب يكلف فيه نائبه فى الهند إرسال أسطول برتغالى مزود بأربعمائة وخمسين جنديًا لمساعدة ملك الحبشة وقدم « برمودز » الكتاب فى سنة ١٥٣٩ م إلى « دون جراسيا » ولكنه مات ،

(١) عمر الحاج . تاريخ الصومال .

وقام بتنفيذ المهمة « دى جاما » ، وقبل وصول النجدة البرتغالية إلى الحبشة وقبل أن يرى « لبناء دنجل » ثمار جهوده مات فى سنة ١٥٤٠ م ، وهو فى حالة سيئة يرثى لها ، ولكن الدور الأساسى الذى لعبه « لبيناء دنجل » فى الحروب الصومالية الحبشية والانتصارات التى أحرزها ضد الصوماليين كانت عظيمة وتاريخية فقد جهز جيشاً ضخماً لمحاربة إمارة (إيفات) فقام بغزوها وحرق مدنها وضرب القلاع عليها فهزمها واحتلها (والجدير بالملاحظة أن « لبناء دنجل » عاصر الإمام أحمد بن إبراهيم » (جرى) .

وباحتلال الحبشة (لإيفات) تم لها الاستيلاء على آخر الإمارات السبع الصومالية ، كما أن النفوذ الصومالى قد تقلص ظله وطارد الأحباش الصوماليين وعلى رأسهم ملك (زيلع) وأمرائها من « آل سعد الدين » — فحاصرهم « لبناء دنجل » فى (جزيرة سعد الدين) القريبة من (زيلع) وقتل فيها مايزيد عن ١٢ ألف نسمة من الصوماليين ولجأ الباقون الناجون إلى قمم الجبال وهرب البقية من أمراء « آل سعد الدين » إلى اليمن فأكرمهم ملكها « ناصر أحمد بن أشرف » وقدم لهم المساعدات المالية والعسكرية ووعدهم بتدعيم سلطتهم ضد الأحباش .

ومن هنا توقفت مسيرة النضال لفترة من الزمن تلك المسيرة التى امتدت نحو ثلاثة قرون وبعد فترة من الزمن عاد أمراء « سعد الدين » إلى بلاد الصومال فعبروا البحر نحو الشاطئ الصومالى فى منطقة تقع شمال بربرة ، وأسسوا مدينة فى المكان المعروف حالياً ببندر عياس ، وجمع الصوماليون شملهم من جديد وجاءوا من كل فج عميق ووحدوا صفوفهم استعداداً للهجوم على الحبشة واسترجاع الإمارات الصومالية المنتزعة ، وقبل أن يقوموا بهجومهم بسط الصوماليون نفوذهم على الساحل الصومالى الشمالى واتفقوا مع الأتراك على مدهم بالأسلحة النارية الحديثة عن طريق (باشا التركى) حاكم زبيد باليمن ، كما كان (شريف مكة) يمدهم بالمساعدات المالية والعسكرية ، ثم نقلوا

العاصمة من (زيلع) إلى (هرر) استعداداً للزحف على الحبشة وكان ذلك بداية التطور للأوضاع فى المنطقة ووقوع أحداث تاريخية لفتت إليها أنظار العالم الخارجى وخرجت من نطاقها المحلى حتى أصبح لها تأثير على السياسة الدولية فقد اشتركت البرتغال فى الحرب التى دارت بين الصوماليين والأحباش والمشهورة (بفتح الحبشة) .

والجدير بالملاحظة أن كلا من تركيا والبرتغال كانت تهدف إلى السيطرة على البحر الأحمر والهيمنة على المراكز التجارية فيها وكان الأتراك يحاولون قطع طريق التجارة على البرتغاليين بغية احتكار التجارة مع الهند وكانت البرتغال بقيادة « هنرى الملاح » (حاكم سبتا) ، تبحث عن مدن فى ساحل أفريقيا الشرقى لتأسيس علاقات تجارية معها ولذا بدأ الصراع بين الدولتين للسيطرة على منطقة شرق أفريقيا مما حمل البرتغاليين إلى الإسراع على الاستجابة لمطالب الأحباش المتكررة الخاصة بالتحالف معهم ومساعدتهم فى حربهم ضد الصوماليين.

ولكى نعلم بداية تطور الصراع بين الدولتين الكبيرتين فى العالم آنذاك وتنافسهما على منطقة قرن أفريقيا . أشير إشارة خاطفة إلى استيلاء الأتراك على مصر.. لأنها بداية التنافس .

إنه بعد أن انهزم « قنصوه الغورى » آخر سلاطين المماليك فى مصر. أرسل « السلطان سليم » قائده « سنان باشا » فى حملة إلى بلاد العرب فاستولى عليها وأخضعها بلدًا تلو الأخرى . واستهدف بصورة خاصة الموانى الواقعة على الشاطئ الشرقى للبحر الأحمر .. ونتيجة لذلك استقر الأتراك فى آسيا الصغرى .. واحتلوا الشرق الأدنى حتى وصلوا إلى الخليج الفارسى .

وهدف الأتراك من كل ذلك .. قطع طريق التجارة على البرتغال ، وشل حركتهم محاولين بذلك الاستئثار بتجارة الهند دون البرتغاليين ؛ وبدا للأتراك أنهم لم يستكملوا بعد السيطرة على طريق التجارة إلى الهند .. مالم تشمل سيادتهم ساحل البحر الأحمر

الغربى ، فى حين كان البرتغاليون يفكرون جديًا فى الاستحواذ على مناطق نفوذ على الساحل الغربى للبحر الأحمر لما له من أهمية بالنسبة لتأمين طريق المواصلات إلى الهند ، وبالأخص عقب استقرارهم فى الهند . لهذا كانت دعوة « الملكة إيلينى » للملك « عمانويل » وقع طيب فى نفوس البرتغاليين الذين يكونون أقل اهتماماً من الأتراك بمنطقة قرن أفريقيا ؛ وأسرعوا يمدون يد المساعدات إلى الحبشة بصورة جديدة ، بل حاربوا بجانبهم ضد الصوماليين بجنودهم ، كم أن تركيا قدمت إلى الصوماليين أسلحة عند اندلاع الحرب بين الجانبين .

لذا أصبحت منطقة قرن أفريقيا مسرحاً للتنافس الدولى . وميدانًا للأطماع . ولم تعد الحرب التى كانت دائرة بين الصوماليين والأحباش . منذ مايقرب من ثلاثة قرون مضت . حرباً محلية كما كانت من قبل . بل دخل فيها عنصر جديد يوجه اهتمامه الشديد بهذه المنطقة وربط مصالحه فيها وسيطرته عليها . هذا العنصر المتمثل فى كل من تركيا والبرتغال .

فتح الحبشة :

أطلق هذا الاسم على الغزو الذى قام به الصوماليون ضد الحبشة بقيادة « الإمام أحمد بن إبراهيم » الملقب (جرى) فى القرن السادس عشر ، واحتلوا فيه الحبشة كلها وقد سبقت الإشارة إلى أن العاصمة انتقلت من (زيلع) إلى (هرر) فى عام ١٥٢١ وأصبحت بعد ذلك اليوم أضخم قاعدة عسكرية ومركزا لتجمع القوات الصومالية .

وفى سنة ١٥٢٢م تولى فى (هرر) الحكم « الإمام أحمد جرى » الذى ولد فى (هربتو من إقليم هرر) فى سنة ١٥٠٠م ، وتلقى مبادئ الشريعة والعلوم العربية فى (هرر) ثم انتقل مع والدته وأخواله إلى (زيلع) فقرأ التفسير والأحاديث وحفظ القرآن ثم عاد مرة أخرى إلى مدينة (هرر) لمواصلة دراسته وصار شيخاً عالماً برغم حداثة سنه

ثم تلقى دروس الفروسية والرياضة ، فشب مكتمل العقل ، وموفور الصحة ، بارعاً فى رمى السهام ، فارساً لا ينافسه أحد ، جريئاً شجاعاً فى الحق .

وانضم «أحمد بن إبراهيم» (الملقب جرى) إلى فرقة الفرسان للجيش . بقيادة « جراد أيون» صهره فأحبه حبًّا شديدًا لما رآه فيه من صفات الشجاعة والبراعة فى الحرب والصلاح والتقوى واتخذه صديقاً حميماً لرجاحة عقله .. وسداد رأيه فى حكمه .

وفى خلال هذه الفترة تولى حكم البلاد حاكم جديد يدعى « السلطان أبو بكر » من ذرية « سعد الدين » ، وانهمك فى ملذاته مع ندمائه وأساء إلى الرعية ، وأشاع الظلم والجور ، وشرب الخمر وعاث فى الأرض فسادًا وظهر قطاع الطرق . فأعلن « جراد ايون » عصيانه لأوامره . فقاد السلطان جيشاً كبيرًا لمحاربة « جراد ايون » ووقعت بينهما عدة معارك أبلى فيها « أحمد بن إبراهيم » (جرى) من جنود « جراد ايون » بلاء حسناً ولمع فيها نجمه وفى إحدى المعارك قتل « جراد ايون » وفى معركة أخرى قتل « عمر الدين » الذى تولى قيادة الجيش بعد « جراد أيون » ثم تولى قيادة الجيش بعده « أحمد جرى » ؛ ولكن العلماء والفقهاء والأعيان تدخلوا فى الأمر وأصلحوا بين الطرفين المتحاربين وسادت فترة هدنة عادت الجيوش إلى مواقعها فاستغل « السلطان أبو بكر » هذه الفترة وجرد « أحمد جرى » من أسباب القوة وسرح جنوده وهرب إلى (بلدة زعسبكة) ومعه ثلاثة من رفاقه ولحق به فى الطريق بعض الأعيان الناقمين على الحكم الفاسد وعلى رأسهم « جراد أبو بكر بن إسماعيل » « والأمير حسين الجابرى » وغيرهما من لم يرضوا بالحكم وشرع ، « أحمد جرى » يدرب أتباعه الذين كانوا يزدادون يوماً بعد يوم على فنون القتال ولما انتهى من تدريباته زحف إلى (هرر) وأرسل إليها مبعوثاً ينادى فى أهلها ويطمئنهم ويمنحهم العفو ويدعوهم إلى الالتزام فى منازلهم والاستمرار فى مزاولة أعمالهم العادية غير خائفين ثم واصل زحفه حتى وصل إلى جبل

(حون) الذى اعتصم به السلطان الجائر بجنوده فضيق عليه الخناق .. وتدخل العلماء والأعيان بينهما للمرة الثانية على أن يحكم « أحمد جرى » نصف البلاد نائباً عن السلطان ويلقب باسم (الإمام) ويتخذ مدينة (سيم) عاصمة له والنصف الآخر خاضعًا لحكم السلطان « أبوبكر » مباشرة وأن ينقل مقره إلى مدينة هرر .. ذلك حقنا للدماء بين الطرفين .

ووجه الإمام « أحمد جرى » كل اهتمامه إلى نشر الدعوة وإعلاء كلمة الله وعقد لواء الجهاد على التصميم باستعادة الإمارات الصومالية (السبع الزيلعية) من أيدى الأحباش .

ويقال إن « الإمام أحمد » وضع جميع أمواله تحت تصرف المجاهدين حتى باع حلى نسائه وأثاث بيتة لشراء الأسلحة ، ولكن السلطان الذى لا يهمه سوى شرب الخمر كان حجر عثرة على تنفيذ مهام سياسة الإمام « أحمد » فبدأ يعرقلها ويخلق لها الصعوبات مما أدى إلى تجدد الحرب بينهما وفى إحدى المعارك قتل السلطان وانتصر الإمام .

واستدعى الإمام « أحمد » الأمير « عمر » أخا السلطان المقتول وناداه سلطاناً على البلاد ، غير أن ظروف الحرب والرصيد الشعبى الهائل الذى يتمتع به الإمام أحمد حالت دون بروزه على مسرح العمليات السياسية ، ثم انضم إلى إحدى وحدات الجيش الصومالى بقيادة « جراد أيون » زوج أخته وترقى بالتدريج حتى أصبح قائداً عامًا لإحدى الفرقتين اللتين يتكون منهما الجيش الصومالى بعد مقتل « جراد أيون » .

وكان أول عمل قام به هو الإطاحة بحكم « السلطان أبوبكر » من ذرية « سعد الدين » وقتله ، وهو الذى وصف بأنه كان حاكمًا فاسدًا أساء إلى الرعية وترك للأحباش فرصة القيام بأعمال الفساد فى البلاد .

وجه « الإمام أحمد » الدعوة إلى جميع القبائل الصومالية للاشتراك فى الجهاد ،

ولبى الشعب الصومالى على اختلاف أقاليمه الدعوة الموجهة إليه والتف حوله الشباب الصغير الموهوب وبايعه على مواصلة الجهاد والدفاع عن الوطن واسترجاع الأراضى المغتصبة فقد تدفقت إليه طلائع المتطوعين من جميع أنحاء الصومال ، من أقصى بقاع مجرتينيا كحتافون ، وبوصاصو ، ومن وميد من إقليم عبر جابو ، وذلك للاشتراك فى الجهاد وتجمع فى هرر آلاف من الفرسان وآلاف من فرسان الصومال ، ومن المهم أن أشير إشارة عابرة إلى الوقائع التاريخية لهذا الغزو بإيجاز .

فى بادئ الأمر لم يقم الإمام «أحمد» بهجوم كاسح على الحبشة ، وإنما قام بغارات متصلة ببعضها تتخللها فترات الراحة على المراكز التى ترابط فيها قوات حبشية تشكل خطراً على الأراضى الصومالية ، وإن كانت صغيرة الحجم ، حيث قام بغارات على القوات الحبشية التى كانت ترابط فى كل من مدينة الدير فطجار – تيجى – انبارية – دوارا – أوفات – أنطوكية وأخيراً مدينة جنديلة وأكثر هذه المدن من الإمارات الصومالية السبع المغتصبة .

وكان كلما انتصر الإمام أحمد فى معركة ، عاد إلى هرر للراحة وتوزيع الغنائم وتلقى التدريبات وزراعة الأراضى لإنتاج الحبوب وعمل «الإمام أحمد» إلى وضع كل إمكانياته لصالح حروبه ، هذا والجدير بالذكر أن عمر «الإمام أحمد» فى ذلك الوقت كان (٢١) واحد وعشرون عاماً فقط .

ووقعت (معركة شيز كورى) فى أول رجب سنة ٩٣٥ هـ الموافق ١٥٠٠ م وتعتبر (معركة شيز كورى) من المعارك الفاصلة ذات الأثر الحاسم ، أدت إلى ظهور وضع جديد فى المنطقة ، وغيرت مجرى الأحداث ، حيث تحطمت قوات الحبشة الرئيسية وأصبحت فلولاً . وكان «الإمام أحمد جرى» قد خرج من (هرر) بجيش قوى قاصداً أرض بادتى ، وفى طريقه دخل مدينة زيفة الصومالية فرحب به حاكمها «جراد وين بن آدم» .. وفى زيفة وضعت زوجة «الإمام أحمد» (دولنبرة) طفلاً سماه «محمداً»

فتركه مع أمه وأخته «مؤنسة» وتابع سيره حتى وصل إلى أرض بادقى التى احتشد فيها الأحباش حول كنيستها قائلين لن يصل الإمام الكنيسة حتى نقتل عن آخرنا فالتقى الطرفان .

ولقد حشدت الحبشة قوات هائلة فى ميدان المعركة دون أن تعمل على توزيعها ووضعت كل ثقلها فى المعركة وقذفت فيها بـ٢٦٢ ألف مقاتل من بينهم ١٦ ألفا من الفرسان واشتبكت هذه القوات مع القوات الصومالية بقيادة « الإمام أحمد جرى » نفسه واستمرت المعركة عدة أيام دون أن ينتصر أحد الطرفين فقام الإمام أحمد » بإعادة تنظيم قواته فى ميدان القتال بغية تعديل الصفوف واتخاذ وضع جديد على شكل كماشة لتطويق الجيش الحبشى ولكن ذلك لم يأت بنتيجة تذكر ، نظرًا لأن موقع الجيش الصومالى فى ميدان القتال كان ضيقاً ، بحيث لا يسمح له بالمرور والمناورة بجناحيه وحرية التحرك بيسر وسهولة فأمر بتقهقر جيشه إلى الوراء ، وتبعه الأحباش مضيقين عليه الخناق فعسر الموقف على الجيش الصومالى ، وكاد أن يهزم عندما فر رجلان وتبعهما آخرون كثيرون عبروا النهر على غير هدى ، فقام « الإمام » يخطب فى قواته ويدفع رجاله إلى الجهاد ويحببهم إلى التضحية والفداء فى سبيل الدفاع عن الدين والوطن والفوز بإحدى الحسنيين « الاستشهاد والفوز بالجنة ، أو الانتصار ونيل الغنائم » ، ثم قال : « أين تفرون من الجنة ، وقرأ قوله تعالى (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) .

وأشار « الإمام أحمد » إلى تغيير خطته الهجومية واتخاذ موقف دفاعى نظرًا للتغيرات التى طرأت على وضع الحملة ، ثم أخذ فى رفع معنويات قواته وحثهم على القتال فقال : اثبتوا مكانكم ولا تبدءوهم بالقتال حتى يبدءوكم ، واشرعوا الرماح ، واستتروا بالدروع ، واختتم خطابه قائلا « استعينوا بالله عليهم والله معكم وناصركم » ، ثم خطب فيهم « أبوبكر » المكنى (بارشونة) وبشرهم بالجنة وحذرهم من القرار وتلا

عليهم قوله تعالى (يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ..) وبعد استكمال استعداده لقواته استأنف القتال فاشتبكت القوتان من جديد ودارت بينهما معركة ضارية استمرت من الصباح الباكر حتى العصر وبعدها ولى الأحباش الأدبار تاركين وراءهم عشرة آلاف قتيل وأعدادًا ضخمة من الأسرى واغتنم الصوماليون كثيراً من العتاد الحربى ، وكان ملك الحبشة قد قدم فدية عن بعض أقاربه من الأسرى وعلى رأسهم صهره « تخلى مجن » الذى فداه بخمسمائة أوقية من الذهب ، كما استشهد من الصوماليين خمسة آلاف محارب ، وعاد الصوماليون المنتصرون إلى مدينة (هرر) ومكثوا فيها شهرين لتوزيع الغنائم وأخذ الراحة ابتداءً من الخامس عشر من رجب حتى الخامس عشر من شوال .

قام الصوماليون بحملة ثانية زحفوا على مدينة حوائر وانتصروا عليها دون مقاومة كبيرة ثم وصل الصوماليون إلى (مى فلح) رحب بهم أهلها .

ولهذا الترحاب قصة طويلة فقد كان يقيم فى مدينة مى فلح رجل صومالى يدعى « راجح » نصَّره ملك الحبشة وعينه حاكمًا للمدينة ، ثم أصبح أكبر خصم للصوماليين ، ولما وصل الصوماليون إلى مشارف المدينة دعاه الإمام إلى الإسلام فى رسالة بعثها إليه فرد عليه قائلا « أخشى أن تؤاخذونى بما فعلت فى الصوماليين من قتل ونهب وتخريب ، ولكن الإمام عفا عنه ، وحينما بلغه هذا الخبر الأخير استجاب راجح لدعوته وأتى إليه فتولى مهمة إرشاد الصوماليين ودلهم على مخازن أموال العدو ، وطرق سيره ، مما أتاح للصوماليين فرصة الانتصار على الأحباش فى المعارك التى خاضوها ضدهم وتكبيدهم خسائر فى الأرواح والعتاد الحربى وكان من بين خسائر الأحباش فى تلك المعارك مقتل ١٣٤ من البطارقة الكبار [1] وألف من الفرسان واغتنام خمسمائة فرس .

وواصل الجيش الصومالى زحفه على الأراضى الحبشية مستهدفاً الملك « لبناء دنجل » فلما

---

(١) عمر الحاج تاريخ الصومال .

علم الأخير بهذا الزحف هرب فى صورة تنكرية قاصدًا قريته باندلونيه ، وحينما وصل إليها الصوماليون بقيادة « الإمام أحمد » هرب متنكرًا للمرة الثانية ، وكلما وصل الإمام إلى محل إقامة الملك ، لاذ بالفرار وجمع الملك أخيرًا فلول قواته فى الضفة الشمالية من نهر هواش وعسكر الصوماليون فى الضفة الأخرى من النهر لمدة شهر وعدة أيام لارتفاع مياهه وحينما انخفض منسوب مياه النهر عبر الإمام وجيشه النهر فلم تجرؤ قوات الملك على الصمود والدفاع عن نفسها بل على العكس من ذلك ولت هاربة ، واتجه الملك إلى نزارجح من أرض دانوت ، حيث يوجد كبير البطارقة « وسن سجد » المشهور بالشجاعة وقوة الشكيمة وكان يصحب الملك آنذاك أربعون شخصاً من الأوربيين والمعتقد أنهم كانوا خبراء عسكريين واقتصاديين .

علم البطريق « وسن سجد » خبر الحملة الصومالية واقتراب الصوماليين إلى حدود أرض (دج) فبعث إلى الإمام أحمد » رسالة هدده فيها ، ويطلب منه ألا يغتر بانتصاراته ، وأن يكتفى بما انتزعه من الأراضى ، وما غنمه من الأموال وأعاد إلى ذهنه الهزائم التى ألحقها بالصوماليين من قبل ، واختتم رسالته قائلا ، وإن لم تفعل ذلك فإن موعدنا معكم سيكون السبت القادم .

وكان « الإمام أحمد » مريضًا حينذاك ، ولما سلمت إليه الرسالة عقد مجلس الشورى اجتماعًا لبحث مضمون الرسالة والرد عليها ، وتقرر فى الاجتماع الاستخفاف بتهديدات « وسن سجد » ومواصلة الزحف والرد على الرسالة ، وجاء فى رد الإمام على رسالة « وسن سجد » بأنه يود الاستيلاء على مزيد من الأراضى ومزيد من الأموال والغنائم وأما ما خوفتنا به من أن لقاءنا سيكون يوم السبت فإن علماءنا قد أخبرونا بأن قتلك سيكون يوم السبت ، ولما تسلم « وسن سجد » الرد لتهديداته داخله الخوف والفزع ، وارتعدت فرائصه ، فأسرع بتحرير رسالة أخرى التمس فيها الرفق والرحمة إذا وقع فى أيديهم أسيراً ، وتسلم الإمام الرسالة الثانية من « وسن سجد » فابتسم وقال

لرسوله بلغه بأننا سنرحمه ولا نقتله إذا ماوقع فى أيدينا .

ووصل الصوماليون إلى مشارف (دج) ، فبعث الإمام كعادته فرق الاستطلاع والاستخبارات لمعرفة أحوال العـــدو ، وفى يوم السبت ٢٣ رمضان عام ٩٣٧ هـ التقى الجيشان الصومالى والحبشي ودارت بينهما معركة عنيفة لقى فيها « وسن سجد » مصرعه على يد « جراد عابد » فعاتبه « الإمام أحمد » على قتله وقال لماذا قتلته قبل أن أراه وقد أعطيناه الأمان فأجاب « جراد عابد » إنه كان حريصاً على قتلى فقتلته .

ولقد تبددت الآمال العريضة التى كان الملك «لبناءدنجل» علقها على « وسن سجد » ، والذى كان لمصرعه أثر عميق على الوضع فى الحبشة ، لم يكن يقل خطورة عن الأثر الذى أحدثته معركة شيز كورى الفاصلة وبذلك فقدت الحبشة آخر آمالها فى الصمود والدفاع عن نفسها .

استيلاء الصوماليين على عاصمة الحبشة :

بعد مصرع كبير البطارقة « وسن سجد » وهزيمة القوات الحبشية فى أرض (دج) فقد الملك كل أمل فى الصمود أمام الجيش الصومالى ، فهرب إلى عاصمة ملكه ، وكان بها أعظم كنيسة فى الحبشة قام ببنائها والد «لبناءدنجل» وقد قدر طولها بمائة ذراع ، وعرضها مائة ، وارتفاعها مائة وخمسون ذراعاً ، وكانت مبطنة بصفائح الذهب الخالص ، ومرصعة بفصوص من الجواهر واللؤلؤ والمرجان ، وفى يوم ١٦ من ربيع الأول عام ٩٣٨هـ أمر « الإمام أحمد » بتعقب ملك الحبشة الذى هرب للمرة الرابعة وحيداً شريدًا متنقلا فى الغابات والأحراش ، وقد شوهد يسير حافى القدمين يحث بغله على السير سريعاً ، وكان البغل يحمل له خمس حقائب ، وعندما وصل الملك إلى عاصمة ملكه قام بزيارة الكنيسة وبكى بكاءً شديداً وقال : « إن المسلمين يريدون حرق (كنيسة أمهرا) دار ملكى ، ودار آبائى الملوك المتقدمين للحبشة وأمر

الملك بمرابطة أحسن فرقة للجيش الحبشى كما أمر بتحصين المدينة فى محاولة يائسة للدفاع عنها ، ولكنها سرعان ما استسلمت فور وصول طلائع الصوماليين إلى العاصمة .

ودخل « الإمام وكبار قواده الكنيسة فدهشوا لما شاهدوه من روعة البناء ، وبدائع صنع وجمال النقش ، ووفرة المعادن النفيسة ، واستدعى الإمام بعض من كانوا معه من العرب فقال لهم ، هل رأيتم فى بلاد العرب أو الروم أو الهند مثل هذه الكنيسة فأجابو جميعاً بالنفى .

وأرسل الإمام إحدى فرق الجيش بقيادة البطل المغوار « جراد متان » لإخضاع حامية من الجيش الحبشى المرابطة فى قمة جبل العنبا القريب من العاصمة ، وكان أبنا ملوك الحبشة يتعلمون فى كنيسة واقعة على قمة الجبل ، وكان الجبل شديد الانحدا صعب المسالك وليس له سوى طريق ضيق لا يسمح بمرور شخصين بجانب بعضهما وانتهز رجال الحامية الحبشية الفرصة وأخذوا يلقون الحجارة الكبيرة والصغيرة على الفرق الصومالية بشدة حتى استشهد أغلب رجال الفرقة بما فيهم القائد وذلك بتاريخ ٢٤ ربيع الآخر سنة ٩٣٨هـ واتجه الملك «لبناءدنجل» إلى أكسوم ، وهى فى نظ الأحباش مدينة عريقة مقدسة تعتبر مهد المسيحية فى الحبشة ، ولكن الجيوش الصومال دخلت المدينة وحطمت حصونها وفر الملك إلى أرض مزجة .

وبعد أن اكتسب الإمام أحمد سلسلة من الانتصارات على العدو وتحطم قواته ، استعرض الإمام قواته بناءً على اقتراح « عدولى » لمعرفة متطلباتها ، وقام بإعاد تنظيمها وتوزيعها على وحدات قبل أن يقرر العودة إلى هرر وذلك على النحو التالى

١ ــ **فرقة القيادة** : وتضم خمسة آلاف فارس يلبسون الدروع بقيادة الإم أحمد بن إبراهيم .

٢ ــ **الفرقة الثانية** : وتضم ثلاثة آلاف فارس يلبسون الدروع بقيادة الوز عدولى .

٣ **الفرقة الثالثة** : وتضم أهم القوات الهجومية والاستطلاعية وتتألف من العناصر الصومالية الخالصة والتى تعتبر العمود الفقرى للجهاد والنضال المسلح .

٤ – **الفرقة الرابعة** : وتتكون من عناصر مختلطة من الصوماليين والجالا والعرب ، ومن أبناء المناطق المنتزعة من الحبشة الذين حسن إسلامهم وانضموا إلى الجيش برغبتهم ، وعيَّن الإمام خمسين قائدًا آخرين ، يقود كل منهم خمسين وحدة محاربة وجعل لكل فرقة راية تتقدمها وكان فى نهاية العرض عشرون ألفاً من أصحاب التروس ، وثلاثة آلاف فارس يلبسون عدة الحرب ، ونحو عشرين ألفاً من أصحاب العصى الغليظة ، وقال « عرب فقيه » فى كتابه (فتوح الحبشة) إن الإمام أحمد سُرَّ كثيراً مما شاهده من القوة النامية ، وأمر بتوزيع القوات ومرابطة حاميات منها فى المناطق المنتزعة لحمايتها من العدو .

بعد أن تم احتلال أكثر من نصف الحبشة واستقرت الأحوال فيها وبدأت هرر تدير وتنظم شئون الدولة وردت إليها أنباء تحمل خبر ارتداد بعض المناطق المحررة لوج ورب نتيجة النشاطات التى قام بهاء عملاء ملك الحبشة لتحريض الأهالى على القيام بالثورة ضد الإمام أحمد جرى ، فاجتمع الإمام بمجلس الشورى لمناقشة الأوضاع فى المناطق المحررة التى حصل فيها التمرد فقرر المجلس تدعيم أركان الإسلام فى المنطقة المحصورة بين نهر سبيلى وهواش ومناطق جينروج وترك حاميات صغيرة ترابط فيها مع فريق من الشيوخ الدعاة إلى الإسلام فأصدر الإمام أوامره على النحو التالى :

١ – إعداد جيش برئاسة القائد « عبد الناصر » والتوجه إلى أرض جيتِّر لمحاربتهم حتى يسلموا أو يدفعوا الجزية .

٢ – إعداد جيش برئاسة الوزير «مجاهد» والتوجه إلى أرض جيرجى ووج لنفس الغرض على أن يتبعه الإمام على رأس جيش قوى .

٣ – إعداد جيش برئاسة الوزير «عدولى» والتوجه إلى بالى .

وتحركت الجيوش نحو أهدافها لتأدية واجباتها فلم تلق مقاومة تستحق الذكر باستثناء الوزير عدولى الذى علم الإمام بأنه يلقى مقاومة شديدة فى بالى فأرسل الإمام ثلاث فرق للنجدة إحداها برئاسة «جراد صاحب شرخا» ، والأخرى بقيادة صاحب إمارة هدية ، والثالثة بقيادة «عبدالناصر» وأرسل معهم مرشداً من أصل حبشى كان قد أعلن إسلامه وهو «صبر الدين» .

ولما وصلت التعزيزات أرسل الوزير «عدولى» إلى بطريق بالى ويدعى «نقلى هيانوت» رسالة ينصحه بالأستسلام والدخول فى الدين الإسلامى أودفع الجزية ولكنه رفض كلا الأمرين فشن عليه الحرب واشتدت المعارك فى بلدة تدعى (زلة) حتى فر البطريق فى جنح الليل ملتجئاً إلى الغابات والأحراش وتبعه الجيش الصومالى فقتل البطريق وقتل معه آلافاً من الأحباش وقد بلغ عدد القتلى من القسيسين والرهبان الذين كانوا قوادا لجيوش الحبشة فى ذلك الحين مائة راهب ، وأسر نحو مائتين ولما بلغ الإمام خبر هذا الانتصار العظيم واسترجاع إمارة بالى صلى ركعتين للشكر نظراً لما كان لبالى من أهمية كبيرة ، وأمر بإقامة الأفراح ودق الطبول ابتهاجًا بهذه المناسبة السعيدة وكان ذلك يوم الحج الأكبر لعام ٩٣٨هـ .

زحف الصوماليون نحو عاصمة الحبشة للمرة الثانية ووصلوا إلى بيت أمحرا بعد انتصارهم على القوات الحبشية فى عديد من المعارك .

وشبت المعارك بين الطرفين حول الحصن الواقع عند قاعدة جبل العنبا الآنف الذكر ، دامت نحو شهرين وافتتح الصوماليون خلالها الحصن الأول .. غير أن الحصن الثانى كان على ارتفاع كبير من الجبل مما سهل للأحباش استخدام الأحجار والصخور الضخمة ضد الصوماليين فاستشهد عدد كبير منهم .. وبجانب ذلك استخدم الأحباش لأول مرة أسلحة نارية حديثة تلقوها من البرتغاليين واضطر الإمام بدوره إلى إرسال وفد إلى زيلع .. وعاد منها بقافلة من الجمال محملة بالأسلحة من جملتها مدفعاً كبيراً ومدفعين

صغيرين . ولما قرر الإمام الغزو على الحصن الثانى لجبل العنبا .. بعث إليه أولا فرق الاستكشاف فوجدت أن الملك وجنوده قد ارتحلوا إلى قرقارة .. وبلغ مسلمو بلاد التيجرى الإمام أحمد جرى أن الأحباش محتشدون فى قرقارة .. وتحرك الجيش الصومالى متوجها إلى أرض التيجرى وفتح قرقارة ولما وصل إلى مشارفها شن على الأحباش هجمات قوية أسفرت عن هزيمتهم واغتنام كثير من أسلحتهم وأموالهم .. واضطر الملك «لبناء دنجل» إلى الفرار متجهاً إلى أكسوم مرة ثانية وهى العاصمة القديمة للأحباش فحشد كل قواه وجمع كافة البطارقة الأحياء واتجه إلى حصن تابر خشية أن يقع فى يد الصوماليين غير أن القوات الصومالية دمرت المدينة واحتلتها ومازال الملك يفر والجيش الصومالى يطارده .. ومن تبلر قصد إلى أرض مزجة .

وفى أثناء فترة القتال بين الصوماليين والأحباش تعرضت جنوب بلاد النوبة لعدوان الحبشة فاستنجد السلطان « مكتز » النوبى بالصوماليين لرد العدوان عنه فى رسالة بعثها إلى الإمام أحمد قال فيها أدركنى قبل أن يقتلونى أى الأحباش – فنادى الإمام على جنوده بالتوجه إلى أرض مزجة لحماية النوبيين من عدوان الأحباش .

وانقسم الجيش الصومالى إلى فرقتين اتجه الفريق الأول برئاسة الإمام أحمد إلى أرض مزجة وفى أثناء مسيرتها اصطدمت ببعض القوات الحبشية كانت فى طريقها إلى أكسوم لمساعدة الملك فأبيدت عن آخرها وتابع الإمام سيره حتى وصل إلى مشارف أرض مزجة وخرج السلطان « مكتز » على رأس جيش من خمسة عشر ألف جندى لاستقبال الإمام والترحيب به وبقى الإمام وجنوده فى ضيافة سلطان مزجة عشرة أيام تابع بعدها سيره إلى قحام لمطاردة الملك وهناك وجدت جثة الملك « لبناء دنجل » هامدة وخلفه فى الملك ابنه « جلاديوس » وأما الإمام وجنوده فقد دخلوا أرض التيجرى وكان أهلها آنذاك مصابين بالطاعون والمجاعة فانتقلت العدوى . بهذا المرض إلى أفراد القوات الصومالية وكثرت الوفيات فيما بينهم .

وأصدر الإمام أمره بنقل القوات الصومالية من أرض التيجرى إلى أرض بقى مدر للمرابطة فيها وزراعة أرضها وتعميرها بغية الاستقرار فيها وذلك لما تمتاز به من اعتدال الجو وخصوبة التربة .

وأما الفريق الثانى بقيادة الوزير « عباس » فقد دخل أرض السراوى وانضمت إليها قوات أخرى بقيادة الوزير « عدولى » حتى انتشر الإسلام فى تلك المنطقة وفى أحد الأيامَ لسنة ١٥٤٠ نشبت معركة عنيفة بين حامية حبشية بقيادة البطريق « تسفولو » المعسكرة فى أرض السراوى وبين قوة صومالية بقيادة الوزير « عدولى » ، وقد استطاع الأحباش فى أثناء ذلك القتال أن يدفعوا الجيش الصومالى إلى طريق ضيق جدًا يقع بين جبلين عظيمين وفى الثلث الأخير من الطريق رمى أحد الأحباش بسهم مسموم من أعلى الجبل فأصاب الوزير « عدولى » واستشهد فانهزم الصوماليون وأخذ الأحباش رأس « عدولى » وبعثوا به إلى الملك الجديد « جلاديوس » فأمر بدق الطبول وشرب نخب الانتصار ثمانية أيام بمناسبة مقتل الوزير « عدولى » .

تلقى الإمام هذا الخبر المفجع فحزن كثيرا على استشهاد صديقه فى الصبا ورفيقه فى السلاح وبكى بكاءً شديدًا وقد تحول حزنه إلى فرح عندما أرسل الوزير « عباس » إليه رأس البطريق « تسفولو » وقواده الآخرين جميعاً انتقاماً منهم .

وقد انتهز « الإمام أحمد » فرصة انتصاراته المتلاحقة ضد عدوه فقطع علاقاته بالأتراك ، ورفض مساعدتهم العسكرية خوفاً من أن تكون وسيلة تبرر تدخل الأتراك فى شئون الصومال الداخلية ولعل الإمام قد أدرك مطامع الأتراك فى السيطرة على الصومال . ولهذا رفض المساعدة العسكرية التركية . وتجنب الاصطدام بين الصوماليين والأتراك فى النهاية ، يعزى إلى الأسباب التى أدت إلى إساءة العلاقات بين « الإمام أحمد » والأتراك إلى احتلال الأخيرة لزيلع فى سنة ١٥٢٢ ولبعض الأجزاء الساحلية من الوطن الصومالى مما حمل الإمام على الامتناع عن أخذ المساعدات التركية .

« الإمام أحمد » يقيم حكماً جديدًا فى الحبشة :

اجتاحت جيوش « الإمام أحمد إبراهيم » الأراضى الحبشية وكادت تسيطر عليها سيطرة تامة فى مستهل عام ١٥٤٠ بعد أن مات الملك شريدًا ، وبدا الوضع يستقر لحكم الإمام لولا وصول القوات البحرية البرتغالية لنصرة الحبشة فأرسل الإمام ولاة من قبله لافتتاح المناطق المختلفة والاستيلاء على السلطة والعمل على إعادة تعمير البلاد ، وإصلاح ما أفسدته الحرب وأصدار أوامره بالاتفاق مع الأهالى بأن يظلوا مستقرين ويزرعوا أراضيهم لقاء خراج سنوى مقرر فولى الأمير « مجاهد » على بيجامدر ، كما ولى الإمام « صبر الدين » على سمن ، وولى على درجة (شمال جوجام) « عليًا ، وزر سناى » على تجرى ، « وجاشا عمر » على ولجا ، والأمير « حسن » على دوارو ، والجراد صديق بن على » على شرخا ، وعمر أخا الوزير « عدولى » على شرخا ، وقام هؤلاء بتعمير المدن وبناء المساجد وزراعة الأراضى وأما « الإمام أحمد » فاتخذ مدينة رمبيا الشهيرة باعتدال جوها وخصوبة أرضها مقرًا له ورفع رايته فى جميع هذه المناطق التى استولى عليها وكانت رايته بيضاء فى الوسط ، حمراء فى أطرافها ، وبها دائرة مكتوب فيها : بسم الله الرحمن الرحيم (إنا فتحنا لك فتحًا مبينًا . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطًا مستقيماً . وينصرك الله نصراً عزيزًا) .

وتناول « الدكتور زاهر رياض » اجتياح القوات الصومالية على الحبشة فى كتابه (الإسلام فى أثيوبيا) فقال : بدأت ثورة « الإمام أحمد » فى سنة ١٥٢٩ م فلم تأت سنة ١٥٤٠ م حتى كان إقليم دوبية تحت أقدامه ، أى استطاع أن يجتاح أثيوبيا من جنوبها الشرقى حتى شمالها الغربى عابراً نهر حواش النيل الأزرق مجتازًا إقليم جوجام الزعر فى مدى أحد عشر عامًا فى حين كانت جيوش الملك تنهار أمامه وهو ينتقل من بلد إلى

بلد فارا من وجهه .

ولكن الأمور قد انقلبت ضد الإمام وسارت على عكس ماكان يعتقد نتيجة اشتراك البرتغال فى الحرب اشتراكاً فعليًا وذلك تنفيذًا لاتفاقية التحالف العسكرى الذى عقده الملك «لبناءدنجل» فيما بين عامى ١٥٣٨ – ١٥٣٩ م مع ملك البرتغال مقابل أن تكون الكنيسة الحبشية تابعة للكنيسة الكاثولكية أصدر ملك البرتغال أوامره إلى « دى جاما » نائب ملك البرتغال فى الهند أن يساعد الحبشة بجيش فى حربها مع مسلمى (عدال) التى شبت نيرانها منذ ١٢ عاماً وبناء على ذلك نزلت من مصوع القوات البرتغالية وقوامها ٤٥٠ جنديًا تحت قيادة « خرستو مورس داجاما » أخى نائب ملك البرتغال وكان هذا أول جيش أوربى دخل الحبشة عام ١٥٤١ م ، وكانت هذه القوة مسلحة بأحدث ماعرف فى ذلك الوقت من أسلحة ومن بينها ست مدافع كبيرة ، وقد حارب هذا الجيش ضد الصوماليين مع الأحباش جنبًا إلى جنب مما غير ميزان القوى ، وجعل الحرب سجالا بين الطرفين .

ولكن فى إحدى الحملات الكبرى التى شنها الصوماليون على العدو منيت القوات المتحالفة بهزيمة نكراء ، ولقى قائد البحرية البرتغالية مصرعه على يد الصوماليين فى عام ١٥٤٢ م .

وفى سنة ١٥٤٤م استشهد « الإمام أحمد » فى إحدى المعارك ، وبوفاته أصيبت حركة المقاومة الصومالية بطعنة نجلاء وفقدت أعظم قائد لها قام بدور كبير فى الصراع بين الصومال والحبشة .

ومن ذلك الحين تنفست الحبشة الصعداء بعد أن تسلمت الإمدادات من البرتغال وحصلت على أسلحة نارية واستعادت قوتها بالتدرج وأخذت الأمور تتطور وتأخذ أشكالا جديدة كان لها التأثير السيئ على الوضع بالنسبة للصوماليين لعدة أسباب بينها :

١ – أن الأرض التى يجرى فيها القتال كانت أراضى حبشية .

٢ – وصول القوات البرتغالية والأسلحة النارية التى حصلت عليها الحبشة لأول مرة فى تاريخها .

٣ – انتشار الأوبئة والأمراض الخطيرة فى صفوف القوات الصومالية كما أنها لم تألف الجو البارد لبلاد الحبشة .

٤ – طول مدة الحرب بما يزيد على ١٣ عاماً مما أرهق الصوماليين .

تولية الأمير « نور » الحكم فى هرر :

تولى الحكم فى هرر الأمير « نور » خلفاً للإمام « أحمد » وقد اختلف المؤرخون فى صلة القرابة التى كانت تربطه بالإمام « أحمد » فمنهم من يقول إنه كان أخاه ؛ ومنهم من يقول إنه كان ابن أخيه ، ومنهم من يقول إنه كان ابن أخته ، والأمير « نور » كان يشبه إلى حد كبير الإمام « أحمد » فى كثير من الصفات فى الصلاح والتقوى ، والعدل والإنصاف ، وشجاعة الإقدام ، وقد انتهج سياسة مماثلة لسياسة سلفة الإمام « أحمد بن إبراهيم » الرامية إلى مواصلة الجهاد والاستمرار فى النضال وبعد تسلمه الحكم تفرغ لأعمال السلطنة ، وقام بإصلاحات داخلية لتقوية المملكة ، وتدعيم مركزه السياسى ، وركز اهتمامه على استتباب الأمر ، والاستقرار الداخلى ، الذى كاد أن يتأثر بسبب وفاة الإمام « أحمد جرى » الأمر الذى أدى إلى انهيار الروح المعنوية للصوماليين وتشجيع الأعداء كما أن ذلك أعطى فرصة لبعض القبائل الوثنية بأن تحاول تعريض الأمن الداخلى للخطر .

وفى الوقت ذاته قام الأمير « نور » بتأمين حدود دولته الخارجية بتصعيد الحرب وتضييق الخناق على الحبشة ، فاستعاد جزءاً كبيراً من الأراضى التى استردها من الحبشة ، كما افتتح بعض الأراضى الجديدة ولهذا سماه الصوماليون بصاحب الفتح الثانى ، والواقع أن الأمير « نور » كان خير خلف لخير سلف ، حيث استطاع أن يعيد

الثقة فى نفوس الصوماليين ، ويضمد الجراح التى أصيبت بها الحركة فى صميم قلبها ، وأن يملأ الفراغ الذى أحدثه استشهاد الإمام « أحمدبن إبراهيم » وقد قطع الأمير « نور » عهداً على نفسه أن ينتقم للإمام « أحمد » ، وأن يأخذ له الثأر ، وقد تحقق وعده الذى واقاه فى إحدى المعارك التى دارت بين الطرفين حيث قتل بنفسه الملك « جلاديوس » .

وبرغم التحالف الصليبى ، والضغط المتواصل على الصومال من جانب الدول الأوربية ، ومساعدتها للحبشة فى حربها ضد الصومال بدافع من التعصب الدينى ، كذلك رغبة هذه الدول فى السيطرة على الصومال وبسط نفوذها عليه ، وعندما توفى الأمير « نور » ١٥٥٨ م استولى على الحكم فى هرر عبدحبشى سابق اسمه الأمير « عثمان » الحبشى وكان ذميم السلوك كثير المظالم ، وقد أزال كثيرًا من النظم التى استنها سلفه حتى أخذ الضعف والوهن يدبان فى هيكل الحكم الهررى نتيجة القلاقل الداخلية والاصطدامات التى حدثت بين الأمير « عثمان » هذا « وجراد جبريل » ولهذا انحسر نفوذ الصوماليين فى هرر وملحقاتها بالتدرج .

الفصل الثانى

الأحوال السياسية فى الصومال فى أواخر القرن ١٩

الغزو الاستعمارى للصومال :

لم تختلف أساليب الغزو الاستعمارى على جميع البلدان الأفريقية فى حقيقتها وواقعها ، فقد حدث الاحتلال على أساس القومية الإقليمية ، ولكن الموقع الجغرافى الاستراتيجى قد أغرى الدول الاستعمارية بالتنافس فى اقتسام بلاد الصومال ، دون اعتبار لهذا الأساس حتى كاد أن يؤدى هذا التنافس الحاد الخطير فيما بينها إلى اصطدامات مسلحة ... ولربما كان الدين الإسلامى الذى يعتنقه الصوماليون أحد الأسباب الرئيسية لهذا التقييم .. وإذا ألقينا نظرة عابرة على دخول الاستعمار فى بلاد الصومال نجده ذا طابع خاص يمتاز بظاهرتين غريبتين .

أولا : أن الاستعمار مزق الوطن الصومالى إلى خمسة أقسام بين أربع دول أجنبية على الرغم من قلة سكانه .

ثانياً : أن الصومال هو البلد الوحيد الذى اشتركت فى تقسيمه دولة أفريقية هى الحبشة ، ويتمثل فى هاتين الظاهرتين أبعاد المأساة التاريخية التى عاناها الشعب الصومالى ولا يزال يعانيها .

ولقد حدث اجتياح الاستعمار لبلاد الصومال فى حقبة ضعف الحكم المركزى الصومالى ، وربما كان ذلك أثر إصابة البلد بقحط شديد ، تخربت من جرائه أهم المدن مما حول الحكم فى الصومال إلى دويلات وسلطنات صغيرة وفى آخر الستينيات من

القرن الماضى دخلت مصر السواحل الصومالية الشمالية .

وكانت حينذاك تحت النفوذ الأدبى للباب العالى الذى كان يمثل الخلافة الروحية لجميع المسلمين .

ومن الطبيعى أن يترتب على وجود الحكم المصرى ذوبان الدويلات والسلطنات الصومالية فى الحكم الجديد .. ثم أخذت بريطانيا تضغط على مصر للجلاء عن الصومال فى محاولة لملء الفراغ ، ومد نفوذها على بربرة ، حتى تضمن سيطرتها على موارد تموينها لقاعدتها الاستراتيجية الهامة فى عدن ، وفعلاً أجبرتها على إخلاء الحاميات المصرية فى الصومال ، وأصبحت الزعامات القبلية الصغيرة التى لا حول لها ولا قوة تملك من أمرها شيئًا ، السلطة الوحيدة التى بقيت فى البلد عقب الانسحاب المصرى .

وهذه الظروف المواتية أتاحت للدول الاستعمارية أن تبسط نفوذها على الوطن الصومالى كله ، وتقسيمه فيما بينها ، ولكى تعطى كل دولة احتلالها صيغة شبه قانونية ، أبرمت معاهدات مع رؤساء القبائل تمهيدًا لتسهيل اعتراف الدول الاستعمارية الأخرى ، ونظراً لاقتناع هذه الدول بعدم شرعية تلك الاتفاقات لأن مسئولية رؤساء القبائل أضعف من أن تتحمل هذه المسئوليات الجسيمة ، فقد أبرمت كل منها معاهدات مع أكبر قدر ممكن من رؤساء القبائل باستثناء الحبشة التى احتلت منطقتها بالقوة بعد قتال مرير .

ثم عقدت الدول الاستعمارية فيما بينها معاهدات لتخطيط الحدود لم يكن الصوماليون أصحاب الحق الشرعيون طرفاً فيها ، ولا تزال فرنسا وأثيوبيا وكينيا تتمسك بهذه الاتفاقيات ، مع أن سيادة بعض هذه الدول قد انتهت وانحسر نفوذها عن بلاد الصومال .

١ – احتلال الحبشة لمدينة هرر :

احتل « منيليك » مدينة هرر فى فبراير عام ١٨٨٧ بجيش قوامه ٣٠٠٠٠ جندى ، بعد قتال مرير وكان قد سبق ذلك فترة من الزمن قامت الدول الغربية بتمهيد الطريق أمام الاحتلال إذ قدمت كل من بريطانيا وفرنسا وإيطاليا على حدة « لمنيليك » التسهيلات اللازمة لتحقيق هذا الاحتلال ولكن الأهداف مختلفة ومتباينة وعندما تأكد « لمنيليك » أن الظروف مهيأة لتنفيذ الخطة أعد جيشاً عظيماً بقيادة رأس « ولد جبرائيل » للاستيلاء على هرر واحتلالها ، فتصدى له الجيش الصومالى فى هرر بقيادة الأمير « عبد الله محمد » ، ودارت بين الجانبين معركة ضارية فى مكان يدعى (قولبى) ، أدت إلى سحق القوات الحبشية وانتصار الجيش الصومالى ، والجدير بالملاحظة أن الأحباش يقيمون حاليًّا ومنذ عشرين سنة مضت احتفالا ضخما فى (قولبى) لذكرى هذه المعركة ومرة أخرى قاد « منيليك » بنفسه جيشاً جراراً مسلحاً بأحدث ماعرف فى ذلك الزمن من الأسلحة لغزو هرر .. والتقى الجيشان بأكثر من موقعة ، ومرت الأيام والأسابيع والحرب دائرة بين الطرفين بقوة وعنف ، وفى الوقت ذاته قطعت كل من فرنسا وبريطانيا طريق النجدات والإمدادات الآتية من المناطق الصومالية الأخرى لتعزيز القوات الصومالية وأخيرًا تغلب « منيليك » على الجيش الصومالى ودخل مدينة هرر وكتب الرسالة التالية : إلى الحاكم البريطانى فى عدن قال : فيها :

من منيليك ملك شوا وجميع جالا الطيب منهم والخبيث كيف حالك ؟ أما أنا ، إننى سعيد للغاية فلن يضطهد فى بلاد أمير « عبدالله » مسيحى بعد اليوم ، لقد حاول أمير « عبدالله » أن يكون خليفة للإمام « أحمد بن إبراهيم » ولكنى دمرته وأجبرته على الهرب ، ورفعت علمى فوق عاصمته ، واحتلت قواتى مديتته ، لقد مات الإمام ولحق

به الأمير ولم يعد هذا البلد للإسلام .

وأخذ « منيليك » يخرب المدينة ويستولى على الممتلكات ويحول المساجد إلى كنائس فسادت الفوضى والاضطرابات فى البلاد ، وفى سنة ١٨٨٩ ضمت الحبشة إلى إمبراطوريتها اسمياً إقليم أوجادين معتمداً على الخرائط التى رسمها المكتشفون الفرنسيون والتى ختمها « منيليك » بختمه وأرسلها إلى ملوك دول أوربا مطالبًا إياهم الاعتراف بها .

وقد وجه « منيليك » إمبراطور الحبشة آنذاك اهتمامه إلى عقد اتفاقيات معاهدات مع الدول الأوربية التى اقتسمت معه الأراضى الصومالية فقد عقد فى يونيو ١٨٩٧ معاهدة لتخطيط الحدود بين إقليم غرب الصومال ومحمية الصومال البريطانى حينذاك وفى ٢١ مارس ١٨٩٧ وقعت فى أديس أبابا اتفاقية بين الحبشة وفرنسا لرسم الحدود بين إقليم ساحل الصومال الفرنسى والإقليم الصومالى المحتل من الحبشة فى ١٨ يونيو سنة ١٩٠٨ ، عقد « منيليك » مع إيطاليا معاهدة لتخطيط الحدود بين الإقليمين الصوماليين اللذين يحتلانهما .

٢ – الاحتلال البريطانى لمحمية الصومال :

يقترن اسم الميجور « هنتر » باحتلال محمية الصومال وانسحاب الإدارة المصرية من بلاد الصومال فقدت أسندت بريطانيا لهذا الضابط مهمة تسهيل عمل الترتيبات الخاصة بانسحاب المصريين من الصومال وتمهيد الطريق أمام الاحتلال البريطانى .

وفى انتهاء عملية الجلاء للحاميات المصرية عن الصومال استدعى « هنتر » فى اليوم السادس عشر من عام ١٨٨٤ خمسة من رؤساء القبائل المحيطة « ببربرة » ورافقوه إلى عدن للتفاهم معهم بشأن الاحتلال النهائى للمنطقة ، وبعد أن وزع عليهم بعض النقود من الجنيهات الاسترلينية توصل معهم إلى توقيع الاتفاقية التالية :

١ - المحافظة على استقلالهم والمحافظة على الأمن والنظام العام .
٢ - ألا يبيعوا أو يتنازلوا أو يتركوا أى جزء من أراضيهم لاحتلال دولة أخرى .
٣ - ضمان حرية التجارة لكل السفن التى تحمل العلم البريطانى وكذلك سلامة رعايا حكومة جلالة الملكة .
٤ - إلغاء تجارة الرقيق وإعطاء السفن البريطانية الحق فى مصادرة الرقيق .
٥ - أن يعاملوا الممثلين والمندوبين الذين ستعينهم الحكومة البريطانية للعمل فى الصومال بكل اعتبار ، وأن يسمح لهم بالاحتفاظ بحرس شخصى .

وعارض الاتفاقية ثلاثة من الزعماء الخمسة بعد عودتهم إلى بربرة وأنزلوا العلم البريطانى من السارية وأحرقوه وكان من نتيجة ذلك نشوب قتال مرير بين عشيرتين تسكنان حول بربرة ذهب ضحيته عشرات من المواطنين الأبرياء وهو ما جعل الباب مفتوحًا أمام القوات البريطانية لتحتل المنطقة دون مقاومة .

وكتب « هنتر » إلى حكومته رسالة قال فيها :

« الآن بعد أن ضممنا بربرة وأصبحت سياستنا معروفة سيصبح بقية الصوماليين مستعدين للتفاوض معنا وعلى أساس ذلك استمرت بريطانيا من ١٨٨٤ بالدخول فى معاهدات مماثلة مع عديد من رؤساء القبائل الصومالية بغرض تدعيم استقلال قبائلهم كما تزعمه بريطانيا ويعنى عدم اكتفاء بريطانيا بعقد اتفاقية أو اتفاقيتين أو ثلاثة إلى عدم الاطمئنان بفاعليتها بشرعية الاتفاقيات الموقعة من قبل أشخاص لا يملكون أى سلطة أو تفويض يسمح لهم بذلك ، وعلى الرغم من أن الدول الاستعمارية حرصت على الاحتماء بما أسمته حقوق رؤساء القبائل ، فهى فى الوقت ذاته تشكك فى صحة المعاهدات التى أبرمتها معهم استناداً إلى اتفاقية برلين ، وتؤكد هذه الحقيقة ، البرقية التى بعثها (منابريا) سفير إيطاليا فى باريس إلى السنيور مانشينى وزير خارجية إيطاليا فى ٢٧ من نوفمبر ١٨٨٤ حين ضمت فرنسا تاجورة إلى أملاكها فقال إن هذه الحالة

تستدعى عرض المادة الخاصة التى كلف بها الكونت دى لونى على المؤتمر المنعقد فى برلين تلك المادة التى تخص حالات ضم الأراضى استنادًا على اتفاقيات تعقد مع أشخاص يدعون السيادة وهم ليسوا إلا أنصاف متوحشين .

وفى سنة ١٨٨٧ أعلنت بريطانيا الحماية على المنطقة الممتدة من رأس جيبوتى إلى بندر زياد ، ومن أهم مواد الحماية أن تحمى بريطانيا البلاد من أى دولة أجنبية أخرى ، وألاّ تمارس فيه أى نوع من التبشير وألاّ تتجاوز حدود المنطقة المشمولة بالحماية خمسة كيلومترات غرب بربرة .

وبهذه الطريقة تمكنت بريطانيا من بسط نفوذها على الصومال ومرت الأيام والشهور حتى كشفت الأحداث عن وجهها الحقيقى وعن طبيعتها الاستعمارية مما أثار روح الكراهية فى نفوس الشعب ، ودفعه إلى إعلان النضال ضد الوجود البريطانى ، وتفجرت ثورة الدراويش المشهورة كما سيأتى الحديث عنها .

٣ – احتلال بريطانيا لإنفدى (N.F.D.) :

فى سنة ١٨٩١ عقدت بريطانيا مع عدد كبير من رؤساء القبائل فى إنفدى معاهدات وأسلمت شئون المنطقة إلى الشركة البريطانية للتجارة فى شرق أفريقيا ، وفى عام ١٩٠٤ قررت الحكومة البريطانية شراء حقوق الشركة ووضع البلاد تحت إدارتها المباشرة بناءً على المعاهدة المذكورة التى وقعتها مع رؤساء القبائل ، إما عن طريق القوة .. أو الجهل والخداع ، ونكتفى بعرض واحد من تلك المعاهدات الكثيرة .. وهذا نصها [١] .

(أنا « أحمد مجن » نائب أوجادين .. وضعت نفسى وشعبى وبلادى وأتباعى تحت حماية ملكة الإنجلز ، وأصرح هنا أنى سوف لا أقبل أنا ولا من خلفى ، أن نعطى بقعة

(١) عمر الحاج تاريخ الصومال

من بلادى وأموالى وشعبى لأى حكومة أخرى ، ولا أؤجرها لغيرها ، ولا أدخل فى أى معاهدات غير هذه المعاهدة إلا بموافقة الملكة وإمضائها ، وكل ما يتعلق بالتجارة سيكون تحت تنظيم الملكة) ، وفى الفترة الواقعة بين سنة ١٨٩٥ وسنة ١٩١٢ م ، بسطت نفوذها فى المنطقة واحتلتها فعليًّا بعد حروب قاسية . كلفتها تكاليف باهظة ، وكبدتها خسائر فادحة فى الأموال والأرواح ، وفى سنة ١٩١٥ اتفقت بريطانيا مع إيطاليا بالدخول فى الحرب العالمية الأولى بجانب الحلفاء على أن تتنازل للأخيرة عن منطقة جوبا السفلى ؛ وفى سنة ١٩٢٤ نفذت بريطانيا المعاهدة المذكورة ووفت بوعدها بشأن التنازل عن إقليم جوبا السفلى .

٤ - احتلال فرنسا لساحل الصومال الفرنسى :

كانت فرنسا من الدول الاستعمارية المشتركة فى تقسيم الوطن الصومالى باتباع طريقة القرصنة الدولية التى سادت السواحل الصومالية الشمالية وغيرها من الأقطار الأفريقية فى النصف الأخير من القرن الماضى بشراء الأراضى ممن لا يملكها والدخول فى معاهدات مع رؤساء القبائل وعلى هذا الأساس اشترت فرنسا ميناء أوبح فى سنة ١٨٦٢ من أحد رؤساء القبائل بمبلغ ٥٠٥٠٠ فرنك ، ووقع « أحمد دنى » فى باريس معاهدة بهذا الصدد نيابة عن ابن عمه الشيخ « أبو بكر إبراهيم شحيم » ، غير أن فرنسا لم تقم بأى عمل لتأكيد سيادتها على الإقليم ولم تحتله احتلالا فعليًّا إلا فى عام ١٨٨٤ واستغل الاستعمار الفرنسى نقاط ضعف الشعب الصومالى هناك لإحلال الأمن والنظام من أجل بسط نفوذه وتدعيم سلطته . والحقيقة أن النضال المسلح والمقاومة الشعبية فى ساحل الصومال لم يتخذا شكلا عنيفاً ومستمرًّا ، إذ تحكمت فيها عوامل خاصة من شأنها أن تؤثر على المقاومة الشعبية وتعرقلها ومن أبرز هذه العوامل مايلى :

١ - تنازع قبيلتين على سيادة الإقليم .

٢ – قلة أهمية المنطقة من الناحية الرعوية لكونها صحراوية قاحلة .

٣ – انعدام مدن هامة فى المنطقة وذلك قبل تأسيس جيبوتى .

بالرغم من هذا فإن التنظيمات والنضال السياسى قد نشأ فى ساحل الصومال الفرنسى قبل أن يقوما فى المناطق الصومالية المحتلة الأخرى كما سيأتى ذكره .

٥ – إيطاليا تستولى على الجزء الجنوبى من الصومال :

ربما كان دخول إيطاليا فى ميدان المنافسة الدولية بتقسيم الصومال كان مؤخراً ، ولكن كان لها نصيب الأسد ، إذ استولت فى سنة ١٨٨٩ على الجزء الجنوبى من الوطن الصومالى عن طريق الشراء لميناء مقديشيو من سلطان زنجبار الذى كان له على الساحل الصومالى الجنوبى مجرد نفوذ أدبى ، وباسم شركة تجارية استأجرت من سلطان زنجبار منطقة مساحتها خمسون ميلا مربعاً يضم ميناء مقديشيو بأجرة سنويّة ، واتفقت الشركة مرة أخرى مع سلطان زنجبار بأن تستأجر منه المنطقة الساحلية الواقعة بين براوه وورشيع بمبلغ ١٤٤ ألف روبية سنويًّا فى مدة لا تقل عن ٢٥ سنة ولا تزيد على ٥٠ عاماً ثم أعلنت الحكومة الإيطالية الحماية فى المنطقة .

عقدت إيطاليا مع الأهالى معاهدة للتجارة وبسطت بموجبها نفوذها على الإقليم تدريجيًّا ولم يمض وقت طويل حتى انقشعت السحب الحقيقية ، إذ تحولت الشركة إلى قوة استعمارية هائلة تمارس أبشع وسائل التعذيب ، وأشد أنواع الضغط والإرهاب لفرض سيطرتها على الشعب وإخضاعه ، ولم تحمل هذه الأساليب الشعب الصومالى بقسوتها ووحشيتها على الاستسلام وقبول الأمر الواقع ، بل حمل راية النضال ضد الاستعمار الفاشى ، وزادت مقاومته عنفاً وقوة وفجرت ثورات وطنية وإن كانت محدودة تغذيها الثورة الكبرى ، وتستمد منها القوة والطاقة من ثورة الدراويش العظمى بقيادة البطل « محمد بن عبد الله حسن » ؛ وتوالى انفجار الثورات وتتابعها فى أنحاء

كثيرة من الأقاليم التى فرضت عليها إيطاليا سيطرتها التعسفية ومنها حركة وسرنلى ولوق التى تستمد وجودها من ثورة الدراويش التى كانت القاعدة الأساسية ومنطلق الثورات التحررية فى بلاد الصومال .

وحينما انتهت الثورة التى هزت الاستعمار فى الصومال من أعماقه وأقضت مضاجعه ، ضمت إيطاليا مرة أخرى إلى ممتلكاتها سلطنتى هوبير وميجيرتينيا من سنة ١٩٢٥ – ١٩٢٧ ، بعد وقائع عديدة كلفتها تكاليف باهظة ومنها واقعة عيل بوروشيلابو وغيرها .

اندلاع ثورة « محمد بن عبد الله حسن » . (الملا) :

اندلعت ثورة البطل محمد بن عبد الله حسن فى بربرة فما هى الأسباب التى أدت إلى قيامها ؟ قبل الإجابة عن هذا السؤال ينبغى استعراض أوضاع بلاد الصومال والظروف التى سبقت أو صاحبت قيام ثورة الدراويش .

توافدت الطلائع الأولى للاستعمار فى الصومال وحطت رحالها فى أبوح وبربرة ومقديشيو باسم شركات تجارية وأخيراً سقطت مدينة هرر فى يد « منيليك » وتعرف هذه الفترة (جالواماد) ، أى مجىء الاستعمار .

ودخلت حركة المقاومة الصومالية مرحلة هدوء لمدة عشر سنوات ، تتلمس طريقاً لها ، واتجاهاً تتخذه ، وتنتظر الظروف المناسبة لقيامها ، باحثة عن قائد يقودها ويتزعمها ، فوجدت أن شخصية « محمد بن عبد الله حسن » تجمع صفات الرجل الثائر ، وتتوفر فيه الشروط اللازمة للمناضل القوى العزيمة ، لما يمتاز به من صلابة عود ، وسعة أفق ، وبعد النظر والثقافة العالية ، واختارت أن تشعل شرارتها الأولى فى مدينة بربرة التى نزلت فيها أعرق دولة استعمارية ، واندلعت نيرانها فى نفال وامتد لهيبها إلى آيل وطود ، ومن شبه جزيرة مجيرتينيا وجرعد من مديرية مدح وهرد جيد من الإقليم

الصومالى المحتل من الحبشة ، وبلدوين من منطقة حيران .

واتبعت حركة المقاومة طريقة تنظيمية جديدة على مستوى الثورات الحديثة واتخذت شكلا جديدًا وأسلوباً حديثاً فى نضالها المسلح واستخدمت كل الأسلحة المعروفة فى العصر الحالى ، السياسية منها والدعائية والعسكرية .

والأسباب التى أدت إلى قيام الثورة كثيرة ولا مجال هنا لحصرها وإنما أذكر أن الاستعمار الذى دخل البلاد باسم شركات تجارية كشف عن حقيقة وجهه برغم الاتفاقيات المبرمة ، وقام ببناء كنائس ومدارس للتبشير وتدخل فى شئون الدين للشعب الصومالى ، فاضطر « محمد بن عبدالله حسن » أن يتزعم حركة المعارضة ويلقى خطباً فى المساجد ، ثم اضطر إلى مغادرة بربرة نتيجة الاضطهاد ، وأسس حركة الدراويش فى نفال سنة ١٨٩٧ ونجح فى تعبئة الجماهير والتفت حوله لأنه عرف نفسية الشعب الصومالى وكيف ينفذ إلى شغاف قلبه ويثير مشاعره وعواطفه ، ويلهب حماسه ولقد كان للشعر الصومالى والخطب الدينية دوراً رئيسيًّا فى توعية الجماهير وتعبئتها وتحديد مسئوليتها فى المعركة المصيرية ضد الاستعمار .

وركز « محمد بن عبد الله حسن » اهتمامه على نقاط أساسية يعلم مدى تأثيرها البالغ فى نفسية الشعب الصومالى ، فحذر من انتهاك المبشرين لحرمات الدين الإسلامى ومقدساته ، وتمزيق الوطن الصومالى من قبل (الكفار) على حد تعبيره أى المستعمرين ونهبهم لخيراته .

ونجح « محمد بن عبد الله حسن » فى جذب مشاعر الشعب نحوه ، وألهب حماسهم وبدأ فى تأسيس قوة الدراويش التى روعى فى اختيار أفرادها العناية الفائقة ، ووزعت إلى وحدات استحدث لها السيد « محمد بن عبد الله حسن » أسماء جديدة ، تعبر عن وظائفها أو طبائعها المختلفة وحدد دور كل منها فى المعركة ومنها :

١ – شيخيال : أى علماء الدين الطاعنين فى السن ، ومهمتها الوعى والإرشاد وتعليم الناس .

٢ – غلوين : أى أصحاب العيون الكبيرة ، وهم المختصون بتربية الخيول المستخدمة فى الحرب .

٣ – أنطدوين : أى أصحاب العيون الكبيرة المختصون بتربية المواشى كالإبل والبقر والغنم ويخصص إنتاجها لمد الجنود وغيرهم بالمواد الغذائية .

٤ – مينتلى : وهى إحدى الوحدات المحاربة الهامة وتحمل أسلحتها علامة م . م .

٥ – جريسرى : أى الجناح الأعلى .

٦ – جربهويسى : أى الجناح الأسفل .

٧ – تاجورة : أى المختصة بقطع الأسلاك الشائكة التى يتحصن بها الغزاة الاستعماريون .

٨ – ترقيوحن : أى أصحاب العضلات الهزيلة وهم الذين لا تتلائم بينهم الصفات الجسدية مع طبيعة الحرب القاسية ولا يصلحون للعمليات الحربية .

٩ – طريش : وهم الذين يفتقرون إلى صفات الحزم وينقصهم حسن الهندام والتنظيم فى هيئتهم .

١٠ – صجد : وهم الرماة .

١١ – حجاتو : أى المغيرين .

وقد ساعدت السيد « محمد عبد الله » فى تدريب الجنود وتنظيمهم ، الكتيبة الصومالية من الجنود البريطانيين التى استسلمت للدراويش وكان قد أطلق عليها اسم (جالوجبى بيال) أى الهازمون للكفار .

واهتم القائد الكبير بتشييد القلاع وبناء الحصون المنيعة والدفاعات وإقامة مراكز

استراتيجية ترابط فيها قواته واتخذ حرن الشهيرة قاعدة عسكرية رئيسية وعين القواد سماهم نواباً يتولون قيادة الوحدات المختلفة المرابطة فى المناطق المتباينة .

أهم الوقائع التاريخيه : [1]

لقد حدثت اشتباكات عنيفة بين الدراويش وقوات الاحتلال الأجنبية فى كثير من الوقائع كما حدثت عديد من الاصطدامات المسلحة بين الدراويش وبعض القبائل الصومالية الموالية للدول الاستعمارية سأذكر باختصار أشهر الوقائع التى خاضتها قوات الدراويش ضد قوات الدول الاستعمارية بريطانيا والحبشة وإيطاليا وتلك المعارك التى أثرت على الأوضاع السياسية والعسكرية فى المنطقة .

اسم الموقعة	تاريخ الموقعة	اسم الموقعة	تاريخ الموقعة
أفيكيلة	٣ مايو ١٩٠١	لاس قرى	١٩٠٥
وبل حر	١٩٠١	بربرة	٥ سبتمبر ١٩١٠
عان حركلة	١٩٠١	شمبرس	٢٧ نوفمبر ١٩١٤
كرجراد	١٩٠١	لاس قرى	١٩١٦
ؤد جرية	١٩٠١	أنطو	أكتوبر ١٩١٦
فرطدن	١٦ يوليو ١٩٠١	أوك	١٩١٩
أيركوبة	٧ أكتوبر ١٩٠٧	ينقرح	١٩١٩
برطكة	٩ أكتوبر ١٩٠٧	بلدوين	١٩١٩

(١) عمر الحاج تاريخ الصومال .

اسم الموقعة	تاريخ الموقعة		اسم الموقعة	تاريخ الموقعة	
عكاوينة	١٧ أبريل	١٩٠٣	ميرفش	ديسمبر	١٩١٩
درتولة	١٨ أبريل	١٩٠٣	كل بربور	يناير	١٩٢٠
يد		١٩٠٣	جيدل	يناير	١٩٢٠
تارغوية		١٩٠٣	عيل طيرو	يناير	١٩٢٠
جد بالة	١٠ يناير	١٩٠٤	برن	١٨ يناير	١٩٢٠
جيدلة	مارس	١٩٠٤	تليح	٩ فبراير	١٩٢٠
ألك دلدلة	٢١ أبريل	١٩٠٥	بحن		١٩٢١
بحن		١٩٠٥	شنبلة		١٩٢١
حسان		١٩٠٥	هروشكح		١٩٢١
هكل كاب		١٩٠٥	قرة		١٩٢١

الملا يطرق باباً جديداً :

علم « محمد بن عبد الله حسن » أن عوده قد اشتد وأن النضال قطع شوطاً بعيداً وأن ثورته قويت بحيث وصلت إلى مرحله فرضت نفسها على الآخرين ، وتأكد أن محاولات الدول الاستعمارية الرامية إلى المطالبة بالاستسلام قد فشلت ، وأن جهودها فى هذا المضمار قد تبددت نهائيًا ، وحان الوقت ليطرق باباً جديداً – باب السياسة – باعتبارها الفائدة لكل الأعمال والتوفيق بين أشكال النضال ببعده الحقيقى السياسى والعسكرى ، علماً منه أن الظروف مواتية لإجراء اتصالات واسعة النطاق فى الصعيدين الدولى والمحلى ، فقرر فتح باب المفاوضات للصلح مع إيطاليا طالما ألحت عليه وذلك للتوصل إلى اتفاق لتوقيع الهدنة .

وفى نفس الوقت قرر إجراء مباحثات مع كل من ألمانيا وتركيا والحبشة لطلب المساعدة العسكرية والفنية ، كما قرر الاتصال بعلماء الدين وزعماء البلاد للمطالبة بتأييد الثورة ومساندتها .

اتفاقية الصلح : [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الغرض من هذا الاتفاق عند كلا الجانبين هو الوصول إلى صلح وأمان يعمان جميع أنحاء الصومال والجانبان هما « بسطلوترا » المبعوث الخاص الإيطالى و « السيد محمد بن عبد الله حسن » النائب عن نفسه وعن إخوانه الدراويش وقد اتفقا على المواد التالية :

١ – السيد محمد المذكور أعلاه ودراويشه من جانب وإيطاليا ورعاياها المجرتينيين وغيرهم من جانب آخر يكونان فى تصالح أبدى وكذلك يكون السيد محمد وإخوانه الدراويش من جانب وإنجلترا ورعاياها ، وكذلك الحبشة من جانب فى تصالح أبدى وإيطاليا هى المسئوله والنائبة عن نفسها وعن رعاياها وعن الإنجليز ورعاياهم وأى تشاجر أو مخالفة بين الجانبين سيحل بالمفاوضات والوفاق ويكون رئيس المفاوضة إيطاليًّا وللإنجليز أن يحضروا المفاوضات إذا كان الخلاف متعلقاً بجانبهم .

٢ – قد تنازلت إيطاليا وسلطاناها للسيد « محمد » عن جميع

(١) مركز البحوث للحزب الاشتراكى الثورى الصومالى .

السواحل التى تقع بين (كرعد وكبع) لكى يتخذها بلداناً ترسو فيها سفنه التجارية ، وإيطاليا تراقب تلك البلدان من جهة البحر حيث أن مياهها لم تزل فى حمايتها وأن لها أن تجعل فى تلك البلدان وكيلها إذا احتاجت إلى ذلك ، ويمكنه اتخاذ عساكر له للحرس ، وعلى « السيد محمد » أن يؤمن هذا الوكيل ويساعده ولها أن تأخذ العشور من واردات وصادرات تلك البلدان إذا شاءت .

إن حكم تلك البلدان وحكم برورها يكون دائما للسيد محمد و « السيد محمد » هو الوكيل المتصرف عن إيطاليا حتى ترسل وكيلها وعلى « السيد محمد » تأمين تلك البلدان وطرقها وأن يحكم رعايا الدول الثلاثة التى فى تلك البلدان بالعدل والإنصاف .

٣ – يكون بيع البضائع حرًّا فى تلك البلدان باستثناء السلاح والعبيد وعلى « السيد محمد » أن يتعهد بذلك .

٤ – الأراضى المعروفة والمعترف بها للدراويش هى : نفال وهو ، وعلى الإنجليز أن يتزلوا عنها وكذلك عن السواحل التى ذكرناها وهى الواقعة بين (كرعد – وكبع) وكذلك أراضى أخرى ستضم إلى حدود الدراويش من جهة سلطانى مجرتينيا وهيبو ، وعلى الدراويش ألا ترسل خيولها وحيواناتها إلى فوق (حلن تغفل دنود) إلى أن يعود الوفد بموافقة الحكومة الإنجليزية بالنزول المذكور .

وعلى السيد « محمد » أيضاً أن يعقد صلحاً منفرداً مع السلطانيين ، ومع قبيلتى « عمر محمود ، وعيسى محمود » حيث

إنهما لا يعترفان رسميًّا لسلطة السلطانين عليهما ، إن كانت من ضمن قبائل المجرتينيين .

٥ - كل ما يحدث للدراويش مما يخل بسلامتهم وأمنهم يجب إبلاغه فورا إلى الحكومة الإيطالية لتتخذ الإجراءات اللازمة وتكون لجنة تقوم بتنفيذ هذا الصلح من الجانبين وتتصل بالحبشة ويكون لها عضو فى تلك اللجنة .

التوقيع

كفليرى بسطلوترا	السيد محمد عبد الله حسن
٥ من مارس ١٩٠٥ م	٢٨ من ذى الحجة ١٣٢٢ هـ

مصير اتفاقية الصلح :

لم يمض وقت طويل على إبرام الاتفاقية حتى عادت الدول الاستعمارية إلى حالتها الأولى ، ولكن بطريقة غير مكشوفة ولذا أطلق الدراويش على هذه الاتفاقية اسم صلح الخديعة ، لأن الدول التى أبرمتها مع الدراويش لم تلتزم بتعهداتها ، ولم تحترم نصوص الاتفاقية ، مما لا يدع مجالا للشك أنها لم تكن حسنة النية صادقة العزم فى مطالبتها بإبرامها ، ولم تكن تستهدف من ورائها سوى الخداع واتخاذها وسيلة لكسب الوقت واستغلال فترة الهدنة .

وإذا درسنا مواد هذه الاتفاقية وناقشناها مناقشة دقيقة ، نجدها تحتوى على عبارات مطاطة غير محددة تحتمل عدة تفسيرات وتأويلات شتى ، من شأنها أن تزيد الطين بلة وتخلق مشاكل جديدة فى غاية من التعقيد .

ويبدو أن كلا الطرفين قد تعمد قبولها وأغمض عينيه عن عيوبها بالرغم من عدم دقة صيغتها وافتقارها إلى التحديد والتوضيح ، كى تتيح له فرصة التحلل من مسئولياته تجاه تطبيق نصوص الاتفاقية .

ولقد كان لكل من إيطاليا وإنجلترا والحبشة أغراض وأهداف من عقد المصالحة فمثلا كانت إيطاليا ضعيفة عسكريًا فى الصومال وفى نفس الوقت لم تزل تواجه مقاومات قوية فى بعض الأقاليم .

النتائج المترتبة من صلح الخديعة :

إن المؤامرات والدسائس التى صاحبت صلح الخديعة قد تركزت أساساً على النقاط التالية :

١ - محاولة زعزعة ثقة الدراويش بقائدها أو ببعضها البعض كجزء من حملة التشكيك والحرب النفسية .

٢ - دفع القبائل الواقعة تحت سيطرة المستعمرين وتأليبها على الدراويش لضرب الصوماليين بعضهم ببعض وصرف اهتمام الدراويش عن مهمتهم الأساسية وهى النضال ضد الاستعماريين .

٣ - تصوير تصرفات (الملا) أمام رجال الدين وإظهارها بأنها منافية لروح الشريعة الإسلامية السمحاء وذلك للنيل من سمعته ، والتشكيك فى أهداف الدراويش الرامية إلى إعلاء كلمة الله وتطهير البلاد من رجس الاستعماريين الدخلاء .

وقد أدت هذه المؤامرات والدسائس إلى تجدد القتال مره أخرى بين الدراويش وإنجلترا وغيرها من الدول المتحالفة معها فحدثت عدة معارك بعضها خاطفة كالتى شنها الدراويش على مدينتى بربرة وبرعو بقصد خلق الرعب والخوف فى نفوس البريطانيين وعملائهم وبعضها عنيف وإذا ما عدنا قليلا إلى الوراء وتحدثنا بإجمال عن السنوات

التالية لصلح الخديعة نستخلص بأن سياسة الدول الاستعمارية قد تركزت فى تلك المرحلة على إثارة القبائل الصومالية الواقعة تحت سيطرتها لمحاولة إضعافه لذا اضطرت الدراويش فى السنوات الأولى التالية لصلح الخديعة إلى الاصطدام بالقبائل المدفوعة وكان أغلبها فى أول الأمر تابعة فى المقام الأول للحبشة ثم إيطاليا وأخيراً القبائل التابعة للحكم البريطانى .

وفى عام ١٩٠٧ بلغ عدد الاشتباكات بين الدراويش والقبائل الموالية للدول الاستعمارية (١١) اشتباكاً منها أربع مع القبائل الموالية للحبشة وخمس مع القبائل الموالية لإيطاليا واثنان مع القبائل الموالية لبريطانيا .

وبلغ عدد الاشتباكات والمعارك بين الدراويش من جانب ، والدول الاستعمارية والقبائل الدائرة فى فلكها من جانب آخر . بلغت ٢٨ واقعة .

وحيث أن سياسة الدول الاستعمارية تجاه الدراويش تعتمد على الاستنزاف بواسطة القبائل الخاضعة لسيطرتها فإنها رأت أن القبائل التى تشن على الدراويش غارات بصورة فردية قليلة التأثير على قوة (الملا) وقررت بدلا من ذلك دفع سلطنتى مجرتينيا وورسنجلى الأكثر قوة وتنظيماً للإغارة على المركز الرئيسى للدراويش لقربهما إليه .

وحدث أن أصيب الدراويش بالقحط فى إحدى السنين مما اضطرهم إلى التفرق على أوسع رقعة من الأرض بحثاً عن المراعى والمياه للمواشى التى يعتمدون على منتجاتها وظهر للمستعمرين أن الفرصة سانحة للهجوم على الدراويش وكسر شوكتها . وخرج من كل من جرتينيا وورسنجلى جيش كبير مجهز بأحدث الأسلحة وإن كان الأول أكبر عدداً وأعظم تسليحاً وانضم الجيشان فى الطريق حتى وصلا إلى مكان يسمى (بران) ولكن « محمد عبد الله حسن » جمع قواته ونظمها واضعا خطته التى أدت إلى إلحاق هزيمة نكراء للمغيرين وكسبت الدراويش المعركة بأقل الخسائر ثم قامت بعد ذلك معركة نفال بر بين الدراويش والقوات البريطانية بقيادة الجنرال « كوفل » ودارت المعركة بين

الجيشين بعنف وضراوة واستمرت المعركة من الصباح الباكر إلى العصر وأسفرت عن هزيمة البريطانين هزيمة ساحقة وإبادتهم عن آخرهم ولقى الجنرال « كوفل » مصرعه .

وفكرت بريطانيا أن تجلو عن الصومال الشمالى ولكن نوقش هذا الموضوع فى مجلس اللوردات فى جلسته المنعقدة بتاريخ ١٩١٠/٤/٦ وتحدث اللورد « كردوف » وانتقد سياسة الحكومة البريطانية لعرضها الجلاء عن الصومال لما له من تأثير فى السياسة البريطانية فى هذه المنطقة وكذلك تناولت الصحف البريطانية هذا الموضوع وعارضت هذا القرار أما إيطاليا فقد عارضت فكرة الجلاء خشية أن تواجه « محمد بن عبد الله حسن » فى ميدان القتال وحدها وأبدت استعدادها للمساهمة فى الحرب ضده مساهمة فعالة كما أن المندوب البريطانى المعارض لفكرة الجلاء قام بتدبير جمع التوقيعات من الأهالى احتجاجاً على قرار بريطانيا الخاص بالجلاء فاضطرت بريطانيا إلى إعادة النظر فى قرارها متأثرة فى ذلك باحتجاجات سكان محمية الصومال البريطانى ووعد إيطاليا مساهمتها الفعالة ومشاركتها فى الحرب ضد الدراويش بصورة جدية .

هزيمة الدراويش وأسبابها :

انهزم الدراويش أثر حملة بريطانية كبيرة استخدمت فيها لأول مرة سلاحاً جديدًا بعد كسب سلسلة من المعارك وصمود طويل أمام قوات متحالفة ضخمة من بريطانيا وإيطاليا والحبشة دام أكثر من ٢١ يوماً .

ومن العوامل الهامة التى أتاحت لبريطانيا فرصة هذا الانتصار الحاسم هو انتصار الحلفاء على ألمانيا وتركيا فى الحرب العالمية الأولى حيث أتاح لها ذلك بأن تضع ثقلها على الدراويش وأن تقذف فى ميدان القتال بكل ما تملكه من القوات بمختلف أسلحتها حيث أعدت حملة ضخمة لم يسبق لها مثيل أن استخدمتها فى حربها العدوانية ضد السيد محمد بن عبد الله حسن . وأرسلت ثلاث فرق نزلت إحداها من لا سقرى والثانية

من كرن والثالثة فى برعو وذلك لشن حملة للتطويق والإبادة وظهر فى ميدان القتال أيضاً سلاح جديد لم يستخدم قبل فى العالم حتى ولوكان ذلك فى الحرب العالمية الأولى وهو الطائرات القاذفة للقنابل وسلاح الميكروبات .

وإن العوامل الرئيسية فى تدهور الموقف لعبت دوراً خطيراً أدى إلى تحولات كبيرة فى الوضع العسكرى والسياسى للمنطقة وبالتالى ألحقت بالدراويش الهزيمة تتلخص فيما يلى :

١ – إن بعض الصوماليين ومن بينهم أفراد من الدراويش قتلوا على أيدى الدراويش أنفسهم باتهامات غير مؤكدة فى صحتها على أنهم جواسيس أو موالين للاستعمار أو مدفوعين أو مناوئين لحكم « السيد محمد عبد الله حسن » مما كان له نتائج سيئة وأتاحت لأعداء الثورة استغلالها بإثارة روح الحقد والكراهية فى الشعب ضد الملا وقد سبب ذلك ما يلى :

(ا) استغلال العناصر الموالية للاستعمار هذه النقطة لتنشيط حملاتها الدعائية على « السيد محمد عبد الله حسن » وبالأخص بعض رجال الدين الذين تبرعوا بإصدار فتاوى دينية باطلة مغرضة تهدف إلى تأليب الرأى العام ضده .

(ب) تخلى بعض المشايخ الأجلاء عن تأييد « السيد محمد » مما أدى إلى انخفاض شعبيته .

٢ – ظهور أسلحة جديدة فى ميدان القتال كسلاح الطيران والميكروبات والسم استخدمتها بريطانيا ضد الدراويش .

٣ – إن دعوة « السيد محمد عبد الله حسن » الشعب إلى الدين بواسطة الطريقة الصالحية كان خطأ ارتكبه وقد أدرك هو هذه الحقيقة حينما تلقى رد « الشيخ محمد خليف » ورفض فيه تلبية دعوة (الملا) قائلا إذا كانت دعوة « السيد محمد » للشعب الصومالى على أساس القومية « الصومالية » أو الدين الإسلامى البحت فإننا أول من

يلبي دعوته وأما إذا كانت هذه الدعوة إلى الدين على أساس الطريقة الصالحية فأرفض ذلك لأنى قادرى الطريقة ، وحينما تلقى (الملا) الرد تأثر به تأثراً بالغاً ولكن تظاهر بالاستخفاف به وقال يا هؤلاء هل رأيت كافرا أكثر منه عقلا وعلماً ، وأضاف يقول كم كان ينفعنى إذ أتى إلى وكان السيد محمد قد أرسل مبعوثين إلى « الشيخ محمد خليف » لتوجيه الدعوة إليه ومن عادته أن يرمى بالكفر كل من لم يستجب لدعوته بالاشتراك فى الجهاد مهما كان تقيًّا .

٤ – إن اتخاذ (الملا) لمنطقة نفال المكشوفة قاعدة له وإن كان فيها أتباع كثيرون أو قريبة من البحر وكذلك اختياره لمواجهة بريطانيا أقوى الدول الاستعمارية الثلاث فى بلاد الصومال لم يكن عملا حكيماً ، وإن الأرض الصومالية المحتلة من الحبشة أكثر ملاءمة لحرب العصابات من منطقة نفال كما أن سيطرة الحكم الحبشى على تلك المنطقة ظل اسميًّا لوقت طويل حيث كانت تأتى إليها حملات عسكرية دورية مرة كل سنتين أو ثلاث سنوات مهمتها جمع الأتاوات من الأهالى ولذا فإن مواجهته للحبشة كانت أيسر له من مواجهة بريطانيا .

٥ – تغير الوضع الدولى الناتج من هزيمة ألمانيا وتركيا والإطاحة بحكم باسو فى الحبشة وهى الدولة المؤيدة له قد سهل ذلك لبريطانيا أن تضع ثقلها العسكرى مع الدراويش .

الفصل الثالث

التجربة الحزبية فى الصومال
قبل ثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٩ م

إن التجربة الحزبية فى الصومال التى واكبت فترة استقلال الصومال تجربة ذات سمات معينة محددة ، ولا شك أن التيارات السياسية فى الوطن العربى وخاصة فى مصر كان لها تأثير كبير على التجربة الحزبية فى الصومال ، ويلاحظ أن التجربة الحزبية حديثة العهد جدًّا حيث إنها بدأت مع نهاية الحرب العالمية الثانية ولم تستمر طويلا ، ونجد أن هذه التجربة لها ظروف وتجربتان مختلفتان وهما التجربة الحزبية قبل ثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٩ والتجربة الثانية ما تم بعد قيام هذه الثورة .

أولا : التجربة الحزبية قبل ثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٩ :

هذه التجربة لها سمات معينة ومميزة ونجد فيها تشابها بينها وبين التجربة الحزبية فى مصر قبل الثورة مع الفارق وقد لاحظت مع حداثة عمر هذه التجربة التى بدأت بعد الحرب العالمية الثانية تعدد الأحزاب ولكن فى أثناء عرضى للتجربة سأقتصر على الأحزاب الكبيرة فقط والتى أثرت فى التجربة الحزبية لأن باقى الأحزاب لم تكن أحزابا بالمعنى المفهوم ، بل هى أقرب للتجمعات القبلية أو الدينية لم تؤثر فى قليل أو كثير فى الحياة السياسية الصومالية ونشأت وقامت بدون أى أثر ، ولو نظرنا إلى السمات المميزة

هذه الفترة من التجربة للاحظنا الآتى :

١ – إن التجربة الحزبية لم تقم على جذور قوية أو أساس سياسى قوى فى البلاد ، وإن انعدام الحياة الحزبية والسياسية فى البلاد جعل الأحزاب بدون تجارب سياسية أو مفهوم حزبى قوى ، ونجد غالباً الأحزاب تنشأ من رابطة أو ناد أو تجمع لبعض الأفراد ، ثم يتحول إلى حزب سياسى ، كما أن انخفاض المستوى الثقافى والاجتماعى فى البلاد أثر على وعى الجماهير بالأحزاب وإمكان التأثير فيها بواسطة السلطات الاستعمارية .

٢ – ضعف برامج الأحزاب وعدم وجود المضمون الاجتماعى فيها ، وانصبت البرامج على الجلاء والاستقلال من الاستعمار ووحدة الصومال الكبير بأقاليمه الخمسة (الصومال الإيطالى – البريطانى – الفرنسى – الحبشى – أنفدى) واعتبر موضوع وحدة الصومال هدف رئيسى ، ومطلب جماهيرى لا يمكن الخروج عنه ، واعتبر كل من بعد عن هذا الهدف خائناً للقضية الصومالية ، كما ظهر فى بعض البرامج موضوع نبذ القبلية ، وهى آفة أثرت ومازالت تؤثر على الحياة فى الصومال ، وهى من المعوقات للتقدم السياسى والاجتماعى ، ونقطة ضعف فى تركيب المجتمع الصومالى ولهذا فعندما استقل الصومال أصبحت برامج الأحزاب غير ذى مضمون ولم تحدد الأحزاب برامجها أو أهدافها ؛ فنجد أن كثيراً من الأحزاب فاقت بعض الاستقلال لخلوها من مضمون اجتماعى تنادى به وتناضل من أجله وتلتف الجماهير حولها ولم يبق من برامج الأحزاب إلا وحدة الصومال الكبير والذى تلاعب الأحزاب به لجذب الجماهير حولها .

٣ – لعب الدين الإسلامى دوراً كبيراً فى تكوين الأحزاب وخاصة فى الصومال البريطانى ، وكان بداية الأحزاب هو تجمع دينى ثم تحول إلى حزب سياسى .

٤ – لعب القبلية دوراً كبيراً فى بناء الأحزاب أو فى تدعيم الأحزاب لأن المجتمع قائم على أساس قبلى .

٥ - من العوامل المؤثرة لكثرة الأحزاب السياسية تجزئة الصومال إلى أجزاء كثيرة ممثلة بدول مختلفة المذاهب السياسية ولهذا كان قيام الأحزاب فى الصومال على أساس إقليمى بحت العامل المشترك بينهم هو وحدة الصومال الكبير.

٦ - لم تكن الديمقراطية بمعناها الواسع منفذة فى الصومال للمستوى الثقافى المنخفض ، والفقر والقبلية ، ولم تمارس الديمقراطية إلا فى مظاهرها (برلمان - حكومة) أما الديمقراطية لمفهومها لم تنفذ ، وهذا عامل مشترك فى أغلب الدول النامية .

٧ - نجد أن ظاهرة انشقاق حزب من حزب أغلبية ظاهرة واضحة فى التجربة الحزبية وأمثلتها انشقاق حزب صوماليا الكبرى من حزب وحدة الشباب الصومالى ومحاربة الحزب الأول للحزب الثانى .

٨ - كما أنه يلاحظ تحول حزب الأغلبية حزب وحدة الشباب الصومالى بعد أن تولى السلطة إلى اليمين وموالاته الغرب وكذلك ابتعاده عن أمانى الشعب الصومالى وخاصة فى وحدة أقاليمه الخمسة ، واهتمامه بتولى السلطة ومقاليد الحكم والانغماس فى الفساد السياسى ومحوه للديمقراطية .

٩ - كان للاحتلال الإيطالى تأثير كبير فى الحياة السياسية وبخاصة فى احتواء حزب وحدة الشباب الصومالى ، وكذلك كان للحزب الشيوعى الإيطالى تأثير كبير فى خلق كوادر ماركسية فى أوساط المثقفين والعسكريين وظلت إيطاليا تربط الصومال بروابط ثقافية وتعليمية لمدة طويلة .

١٠ - كان لطائفة التجار تأثير كبير فى الحياة السياسية ، وكانوا هم على قمة الأحزاب السياسية ، ولم يولوا اهتماماً كبيراً برأى الشعب ، وكان هدفهم تنمية رأس مالهم .

١١ - تباعد طبقة المثقفين عن التجربة الحزبية لحد ما نظراً لقلة المثقفين أساساً

وعدم وجود رابطة بينهم ، وكذلك كان أغلبهم لهم اتجاهات يسارية .

١٢ – منذ استقلال الصومال فى أول يولية ١٩٦٠ واتحاد الصومال الإيطالى والبريطانى وتكوين جمهورية الصومال ، وتولى الحكم حزب وحدة الشباب الصومالى عَمِلَ هذا الحزب على تولى كافة مقاليد الحكم وجذب باقى الأحزاب ، وعم الفساد السياسى ولم يُحَدِّدْ له مضمون اجتماعى لتنمية المجتمع الصومالى ، ولهذا بدأت الجماهير تنفض من حوله ، وظل الهدف الوحيد الذى تلاعب بالشعب ، هو وحدة الصومال الكبير ، ولكن بعد ثورة عام ٦٣ – ٦٤ الصومال الحبشى وتعدى ونشر الثورة وعدم مساندة الحكومة الصومالية وتنازل الحكومة عن هذا المطلب بالإضافة إلى احتواء الغرب للحكومة الصومالية ، نبع انفضاض الجماهير وطبقة المثقفين رويداً رويدا عنه ، والجدير بالإشارة إليه أن الاتجاه الماركسى سواء السوفيتى أو الصينى ، بدأ يدخل وينظم كوادر له فى طبقة المثقفين وضباط الجيش ، وفى ظل هذه الظروف انتهت التجربة الحزبية الأولى فى الصومال بقيام ثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٩ وسوف أذكر فيما يلى التجربة الحزبية وكيف نشأت الأحزاب الرئيسية فى هذه المرحلة .

تأسيس حزب وحدة الشباب الصومالى :

ظهرت حركة التحرر الصومالية على صورة حزب سياسى لأول مرة فى تاريخها ، وعرف النضال السياسى المجرد طريقه نحو منطقة قرن أفريقيا التى شهدت كثيراً منه .

لقد اجتمع فى مقد يشيو فى اليوم الخامس عشر من عام ١٩٤٣ ثلاثة عشر رجلا من أبناء الشعب الصومالى وناقشوا إمكانية تأسيس حزب سياسى يظهر إلى حيز الوجود ، حيث أعلن رسميًّا فى احتفال بسيط فى ذلك التاريخ افتتاح نادى وحدة الشباب الصومالى ومن بين العوامل التى أدت إلى ظهور الحزب الأحداث العالمية الناتجة

عن الحرب العالمية الثانية التى أثرت بشكل رئيسى على السياسة الدولية .

لقد وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها فى عام ١٩٤٥ وانتصر الحلفاء على المحور فهبت على العالم وبالأخص على قارتى أسيا وأفريقيا اللتين كانتا مسرحا للتنافس الدولى فى أواخر القرن الماضى وشهدت أحداثا مؤلمة من جراء تقسيم المستعمرين للعالم إلى مناطق نفوذ ، هب على العالم نسيم الحرية بصورة شبه تلقائية أيقظت الشعوب من سباتها الطويل وبدأت مرحلة جديدة من العمل الجدى والتطور السياسى وضرورة إحلال أوضاع جديدة محل الأوضاع القديمة على أساس حق تقرير المصير لجميع شعوب العالم .

ولذا برزت ظروف سياسية جديدة أفسحت أمام الشعوب المضطهدة المغلوبة على أمرها مجالا أوسع لإنشاء حركات تحررية للمطالبة بحقها فى الحرية والسيادة وعليه فإن نادى وحدة الشباب الصومالى كان وليد تلك الظروف التى تحكمت فى أوضاع العالم فى تلك الفترة شأنه فى ذلك شأن كل الأحزاب السياسية التى نشأت فى أنحاء كثيرة من قارة أفريقيا وربما كان ظهور نادى وحدة الشباب الصومالى فريداً فى نوعه بالنسبة للأحزاب الأفريقية التى نشأت فى تلك الفترة حيث كان مفاجأة غير متوقعة بالنسبة للمراقبين السياسيين ومقدمة لا سابقة لها ، لأن الشعب الصومالى لم يكن له تجربة سابقة للنضال السياسى المجرد ، حيث لم يكن له طبقة سياسية واعية ، وكان مستوى الثقـافة فيه منخفضاً ومحدوداً بشكل مخيف .

ولقد ظهرت فكرة إنشاء نادى وحدة الشباب الصومالى ، أول ما ظهرت بعد مناقشة جرت بين السيد « عبد القادر سخاوى الدين ، ويودو ، وطاهر حاج عثمان » لاستعراض الأحداث التاريخية التى تمر بها حركة التحرر فى الصومال وانتهى بهم النقاش إلى ضرورة إنشاء حزب دينى على غرار الدراويش ويتحمل مسئولية قيادة الحركة » .

والمعروف تاريخيًّا أن للعقيدة الإسلامية دورها الأساسى فى تحريك الأحداث وظهور الحركات التحررية فى الصومال.

وأبلغ «عبد القادر سخاوى الدين» الفكرة إلى الحاج «محمد حسين»، فرحب بها كما أبلغها السيد «طاهر» إلى السيد «يسن حاج عثمان» (أخيه) الذى رحب بدوره بالفكرة مبدئيًّا، ولكنه عارض بشدة إنشاء حزب ذى طابع طريقى أو طائفى، واعتبره عامل تفرقة كنتيجة حتمية للسيطرة الاستعمارية على الصومال، واستطاع أن يقنع زملاءه بضرورة إنشاء حزب سياسى يوحد صفوف الشعب الصومالى، وكان اختلاف الصوفية فى الصومال قد بلغ فى ذلك الحين حدًا مخيفا.

وبهذه الطريقة الفردية تم جمع ١٣ رجلا اتفقوا على تأسيس الحزب على شكل ناد يجتمع فيه الشباب ويتولى مهمة تعليم الشباب وتثقيفهم وتوعيتهم سياسيًّا لفترة من الزمن يتحول بعدها إلى حزب سياسى.

وقام السيد «يسن حاج عثمان» بصياغة برنامج يتضمن الأهداف الأساسية للنادى، كتحرير الصومال من الاستعمار، ونبذ القبلية والطائفية وغيرهما من عوامل التفرقة، وعندما قدم طلب الترخيص إلى حاكم مقديشيو البريطانى رفعه بدوره إلى محافظ بنادر للاستشارة فلم يعترض عليه، ولكنه قبل أن يبلغ حاكم الناحية إلى المؤسسين موافقته النهائية بفتح النادى استدعاهم للاجتماع بهم فى مكتبه، وسألهم عن أسباب التناقض والاختلاف الواضح بين الاسم الذى يحمله النادى وهو نادى الشباب الصومالى، وبين المبادئ الأساسية التى يتضمنها البرنامج؟ أجابوا بأنهم يرغبون فى أن ينحصر النشاط فى المرحلة الأولى على توحيد الشباب الصومالى وتعليمه وتوعيته سياسيًّا، ولكن الغاية التى يتطلعون إليها تحويل النادى إلى حزب سياسى ذى أهداف محدودة فى الوقت المناسب، وأخبرهم فى نهاية الاجتماع بموافقته على فتح النادى.

ولقد قام المؤسسون بنشاط كبير لشرح أهداف النادى والغرض من تأسيسه والفلسفة

التى يقوم عليها ووضعوا لأنفسهم برنامجاً للعمل يقضى بنشر تلك الأهداف فى الأوساط الشعبية على نطاق واسع على أن يكون برنامج العمل مرحليًّا بحيث يبدأ كل واحد منهم نشاطه بتعليم أهم النقاط الأساسية التى يتضمنها برنامج الحزب أو النادى لأفراد أسرته ثم جيرانه بالإضافة إلى شرح هذه الأهداف والمبادىء للشباب فى النادى والمقاهى ومختلف المحافل .

وقد صار لبرنامج العمل الآنف الذكر نتائج مثمرة وملموسة فقد انتشر نبأ افتتاح النادى والأهداف التى يقوم عليها ويسعى إلى تحقيقها .

ولعل من أولى العوامل التى ساعدت الحزب أو النادى خلو الميدان من أية منافسة حزبية أخرى تستحق الذكر ، وتقبل أبناء الشعب الصومالى المبادىء الواردة فى برنامجه فقد وجدها محققة لأهدافه القومية معبرة عن آماله وأمانيه واعتبرها خير علاج لمشكلته المستعصية التى طالما عانى منها مما دفعه إلى الانخراط فى سلك الحزب والانضمام إليه على اختلاف هيئاته وطوائفه ، ومنحه الثقة والتأييد المطلق ، كما أن بريطانيا انتهجت فى بادئ الأمر سياسة التساهل تجاه الحزب لاحتوائه .

وقد أعطى الحزب اهتمامه فى أول الأمر إلى السياسة الداخلية بإقناع الشعب الصومالى بوجهة نظره فى القضايا السياسية والاجتماعية ، ونتيجة للمجهودات التى بذلها الحزب فى سبيل انتشاره ، وتجاوب الشعب الصومالى معه بالإضافة إلى تساهل السلطات البريطانية العسكرية معه ، انتشر الحزب فى جميع أنحاء الصومال بمختلف المناطق ، وصارت له فروع فى أنفدى ، وساحل الصومال الفرنسى ، ومحمية الصومال البريطانى ، والصومال الحبشى .

ومما يستحق الإعجاب والتقدير فى هذا الصدد وتجدر ملاحظته ، الدور الكبير الذى لعبته بعض القطاعات والهيئات الشعبية لتأييد الحركة ومساندتها وفى مقدمتها ما يلى :

١ – المرأة الصومالية التى كان لها الفضل الأكبر فى تدعيم الحركة ودفع عجلتها إلى الأمام ، فقد دفعت بزوجها وخطيبها وأخيها إلى الانخراط فى سلك الحزب والانضمام إليه فضلا عن نشاطها المستمر فيه .

٢ – الجنود الصوماليون فى قوات (جندا مرى) البريطانية الذين وقفوا من المعركة موقفاً بطوليًّا ومشرفاً فقد ألزموا أنفسهم أن يكونوا بمثابة الدرع الواقى الذى يعطى الحزب الحماية اللازمة من التعدى على أرواح أفراد القيادة والعناصر النشيطة من أعضائه من الاستعمار وعملائه المدفوعين منه ، والاستبسال الذى أبداه هؤلاء الجنود الوطنيون فى حادثة ١١ يناير ١٩٤٨ التى وقعت فى مقديشيو أوضح دليل على التضحيات التى قدموها فى سبيل الدفاع عن الحركة التحررية المتمثلة آن ذاك فى حزب وحدة الشباب الصومالى .

٣ – موظفو البرق الذين لعبوا دورًا عظيمًا لخدمة الحزب فى مجال الاتصالات الداخلية والخارجية وكثيراً ما تولى موظفو البرق إرسال برقيات الاحتجاج باسم الحزب عن أعمال بريطانيا فى الصومال إلى مندوبيه فى الأمم المتحدة بصورة سرية وذلك حين تمتنع السلطات العسكرية البريطانية عن إرسالها لسبب من الأسباب واستطاع هؤلاء الموظفون أن يحصلوا للحزب على جهاز استقبال جديد لضبط البرقيات السرية الهامة المرسلة من الصومال وإليها .

تحويل النادى إلى حزب سياسى :

لقد أحدث الحزب تغيرات هامة فى سياسته وأخذ يوسعها أكثر فأكثر عندما أدرك أن سياسته الداخلية قد لقيت نجاحاً عظيما لا مثيل له فى تاريخ الأحزاب الصومالية حيث بات الحزب الوحيد الذى يشمل جميع مناطق الصومال المختلفة .

ففى أبريل عام ١٩٤٧ أعلن الحزب فى احتفال ضخم أقامه فى دار سينما بنادر

بمقديشيو وحضره أكثر من عشرة آلاف من المدعوين ، أنه تقرر تحويل النادى إلى حزب سياسى يحمل اسم حزب وحدة الشباب الصومالى ، ولم يكن معنى ذلك أنه لم يكن فى السابق حزباً سياسيًا ، غير أنه حل محل الاسم المحدود الدلالة اسم آخر أوسع منه معنى وأكثر شمولا .

وأعلن الحزب أيضًا رفضه القاطع لعودة حكم إيطاليا إلى الصومال بأى شكل من الأشكال ، وتقدم ببرنامج شديد يتضمن أهدافا أكثر تطورًا وتقدماً يشمل النقاط الرئيسية التالية :

١ – تحرير الصومال من الاستعمار ، وتوحيد جميع أجزائه الخمسة آنذاك تحت راية واحدة .

٢ – محاربة القبلية والطائفية والتحيزز الطريقى وجميع أنواع التفرقة .

٣ – محاربة الجهل وتعميم التعليم ورفع مستوى التعليم بين أبناء الأمة الصومالية .

واتخذ الحزب عبارة (فليحيا الصومال) شعاراً يعبر به عن أهدافه وأمانيه القومية ، وفى الوقت الذى انعكس فيه هذا الشعار الذى طالما التهج به الأطفال والشباب والنساء وغيرهم فى سياسة الحزب الرامية إلى تحرير الشعب الصومالى من التبعية ، فقد أثر فى الوقت نفسه على نفسية المواطنين العاديين تأثيراً سحريًّا ، كما صار للأهداف التى جاءت فى البرنامج السياسى الجديد صدى قوى ، ووقع عميق الأثر فى نفوس المواطنين الصوماليين عامة ، تلك الأهداف التى استجاب لها الشعب استجابة طيبة وأظهر استعداده الكامل لتحمل التبعات التى ستلقيها على كاهله وبذلك سجل الحزب المزيد من الانتصارات فى ميدان السياسة الداخلية والمزيد من الانطلاق .

وكانت هذه نقطة تحول تاريخية فى سياسة الحزب أخرجت سياسة الحزب من نطاقها المحلى المحدود إلى الصعيد الدولى فى أوسع أرجائه وأرحب آفاقه .

وقبل أن أتحدث عن الخطوات التى اتخذها الحزب لتنفيذ سياسته الجديدة ينبغى أن

نذكر حدثاً دولياً هاماً كان له أثره البالغ على المستقبل السياسى للمستعمرات الإيطالية السابقة فى أفريقيا ومن ضمنها الصومال الايطالى سابقاً.

فقد عقد الحلفاء فى سنة ١٩٤٧ معاهدة صلح مع إيطاليا تنازلت الأخيرة بموجبها عن جميع حقوقها وممتلكاتها فى مستعمراتها بأفريقيا تمهيداً لمنح شعوب هذه المستعمرات حق تقرير المصير، وكانت الإدارة العسكرية البريطانية مشمولة حينذاك على جميع المناطق الصومالية ما عدا ساحل الصومال الفرنسى، فأرادت بريطانيا أن تستفيد من وجودها العسكرى، وتستغل الفرصة السانحة التى أتيحت لها للانفراد بالسيطرة على الأقاليم الصومالية للوصول إلى غايتها وتحقيق مطامعها وراحت تتقرب له وتقدم له التسهيلات اللازمة لانتشاره وتقويته من بداية الأمر.

والخطاب الذى ألقاه المستر «بيفن» وزير خارجية بريطانيا آنذاك فى مجلس العموم البريطانى فى ٤ يونيو عام ١٩٤٦ مثال حى يكشف عن نوايا بريطانيا وسياستها تجاه الموضوع الآنف الذكر فقد قال فى خطابه فى نهاية القرن الأخير قسم قرن أفريقيا بين بريطانيا وإيطاليا وفرنسا وفى الوقت ذاته احتلت الحبشة نصيبها من المنطقة، وأشار «بيفن» إلى أن الرعاة فى محمية الصومال البريطانى والصومال الإيطالى يتضررون بالحدود الاصطناعية، واستطرد يقول ولهذا فإننا نقترح بكل براءة وإخلاص توحيد مقاطعة الصومال البريطانى والصومال الحبشى والصومال الإيطالى ووضعها تحت وصاية دولية مع إشراف بريطانيا حتى يجد أولئك الرعاة فرصة لحياة يسودها الاستقرار دون التعرض إلى أية موانع تعوق رحلاتهم الشتوية والصيفية.

ونظرًا لتطورات الأحداث التى أعقبت الحرب العالمية الثانية والتغييرات التى طرأت على السياسة الدولية نتيجة لهذه الأحداث زارت الصومال فى يناير عام ١٩٤٨ لجنة رباعية للتحقيق مكونة من ممثلى بريطانيا وأمريكا وفرنسا والاتحاد السوفيتى تابعة للأمم المتحدة لمعرفة رغبات الشعب الصومالى فى تقرير مستقبله السياسى بناءً على معاهدة

الصلح التى عقدها الحلفاء مع إيطاليا عام ١٩٤٧ .

وكانت هذه بداية لتدويل القضية الصومالية منذ نشأة الحزب الذى واجه لأول مرة مشكلة سياسية هامة ذات أثر حاسم على الوضع فى المنطقة قد تقرر نتيجتها مصير البلاد ، وهو ما دفع الحزب إلى الدعوة إلى مؤتمر قومى حضره ممثلو الحزب للفروع فى شتى المناطق وزعماء البلاد ، وعلماء الدين والشخصيات البارزة وغيرهم من الهيئات الشعبية فى مختلف الأقطار الصومالية ، لبحث القضية الصومالية عامة ، وتقرير المستقبل السياسى للبلاد بصفة خاصة وناقش المؤتمر المواضيع المدرجة فى جدول الأعمال وفى مقدمتها .

١ – المشروع البريطانى الخاص بتوحيد الأقطار الصومالية تحت وصاية دولية على أن تكون بريطانيا الدولة الوصية على الصومال تحت إشراف الأمم المتحدة لمدة عشر سنوات والذى تبناه بعض أعضاء اللجنة المركزية .

٢ – الاقتراح الذى تقدم به بعض أعضاء اللجنة المركزية والخاص باختيار الدول الأربع الكبرى وصية على الصومال تحت إشراف الأمم المتحدة لمدة عشر سنوات أيضاً .

وبرغم أن المشروع البريطانى يتفق إلى حد بعيد مع أهداف الحزب والأمانى القومية للشعب الصومالى بصرف النظر عن أهداف بريطانيا من ورائه ، فشل فى الحزب وأقر الاقتراح الخاص باشتراك الدول الأربع الكبرى فى إدارة البلاد تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة لمدة عشر سنوات لتأهيل أبناء الوطن لحكم أنفسهم بأنفسهم .

وسبب فشل المشروع البريطانى الذى تبناه عدد من أعضاء اللجنة المركزية وغيرهم ، هو أن غالبية اللجنة المركزية قد أبدت مخاوفها وشكوكها من حسن نوايا بريطانيا بصدد الاقتراح وما تهدف إليه من ورائه لما لها من ماض أسود ، وسجل تاريخى ملىء بالغدر والخيانة حافل بالخداع وخلف الوعد .

والحقيقة أن القرار الذى اتخذه الحزب لتقرير مصير البلاد ، لم يكن واقعيًّا إذ لم

تدرس نتائجه بأبعادها الحقيقية حيث لم يكن من السهل آنذاك أن تسمع الدول الغربية الكبرى الثلاث للاتحاد السوفيتى بأن يضع اقتراحه على منطقة قرن أفريقيا الاستراتيجية والمتحكمة على المحيط الهندى ومدخل خليج عدن والبحر الأحمر ، وقد أثبتت الأيام سلبية هذا القرار ، والواقع الذى لا يختلف فيه اثنان أن موافقة حزب وحدة الشباب الصومالى على المشروع البريطانى بتوحيد أربع مقاطعات صومالية تحت الإدارة البريطانية إشراف الأمم المتحدة والترحيب به مبدئيًّا كان فرصة ثمينة لا تعوض .

بريطانيا تنتقم من الحزب :

أصيبت بريطانيا بصدمة شديدة نتيجة قرار الحزب الآنف الذكر فجن جنونها وطار عقلها وفقدت الصواب وراحت تتخذ إجراءات انتقامية تعسفية شديدة العنف بالغة القسوة لمنع الحركة والقضاء عليها ، ففتحت أبواب السجون على مصراعيها وزجت فيها بالعناصر النشيطة من أعضاء الحزب ونفت الأعضاء القياديين إلى مناطق نائية وبدافع من الانتقام والحقد والكراهية وقفت بريطانيا من القضية الصومالية موقفاً عدائيًّا مفضوحاً وسلكت كل سبيل للإساءة إلى الشعب الصومالى والأضرار بمصالحه القومية ، فاتخذت قراراً فوريًّا فى نفس عام ١٩٤٨ بإعطاء منطقة الصومال الغربى للحبشة ، وسلمتها لها فى الحال .

وفى عام ١٩٤٩ تقدمت بريطانيا وإيطاليا إلى الأمم المتحدة بمشروع مشترك أطلق عليه اسم مشروع « بيفن سيفورزا » يقضى بعودة إيطاليا إلى الصومال دون قيد أو شرط وقد نجح المشروع فى اللجنة السياسية ولكنه فشل فى الجمعية العمومية كما سيأتى .

وفى عام ١٩٤٩ اتفقت الدول الكبرى فى اجتماع عقدته فى باريس على إعادة تقسيم بلاد الصومال كما ضربت الأمم المتحدة عرض الحائط برغبة الشعب الصومالى باشتراك الدول الكبرى الأربعة فى إدارة البلاد تحت إشراف الأمم المتحدة لمدة عشر

سنوات وذلك بناء على مساعى بريطانيا لعرقلة التقدم السياسى والاجتماعى للشعب الصومالى .

وفى ٢٦ فبراير عام ١٩٥٤ وقعت بريطانيا مع الحبشة اتفاقية تعهدت بموجبها بسحب حكمها العسكرى من منطقة هود والأراضى المحجوزة على أن تتولى الحبشة إدارتها اعتباراً من ٢٥ فبراير عام ١٩٥٥ .

أما إيطاليا فقد عادت إلى الصومال وهى تحمل اسمًا براقاً فى مظهره وهو فى حقيقته استعمار مقنع . . عادت تحمل اسم الدولة الوصية على الصومال مستهدفة الحركة لإخمادها وقمعها وانقضت على حزب وحدة الشباب الصومالى الذى كان يحمل آنذاك مشعل الحرية وراية النضال فى الصومال وانتهجت سياسة عدوانية متناهية فى العنف ومناهضة للحرية منافية لمسئوليتها تجاه الأمم المتحدة إلى أبعد الحدود محاولة بذلك إعادة عقارب الساعة إلى الوراء ، وفرض سيطرتها الاستعمارية على الصومال من جديد ، ولتحقيق هذه الغاية لجأت إلى أسلوب التهديد والضغط والإرهاب وقامت بسجن وتعذيب أعضاء الحزب دون مبرر بقصد القضاء على نشاطه التحررى ، وصرفه عن أهدافه ، غير أن هذه الإجراءات والوسائل اللاشرعيـة لم تؤثر على نشاط الحزب ولم تدفعه إلى الاستسلام ، بل أثارت فيه روح المقاومة وتقديم التضحيات ، والإصرار على مواجهة التحديات والضغوط كما أظهر استعداده لمواجهة أسوأ الاحتمالات المتوقعة وتحمل مسئولياته تجاه النتائج المترتبة على اختباره للدول الأربع الكبرى لإدارة البلاد هذا الاختيار الذى وضع حدًّا نهائيًّا لسياسة التعاون مع بريطانيا وأثار كراهيتها وغضبها وأدى إلى عودة إيطاليا إلى الصومال فاضطر إلى تغيير أسلوب عمله وتحويل نضاله ذى الطابع السلمى إلى نضال يتسم بالعنف والشدة للدفاع عن أهدافه والمكاسب السياسة التى حققها منذ نشأته .

وكثيراً ما اصطدم مع الدول الاستعمارية واشتبك معها فى قتال مرير أدى إلى

استشهاد كثيرين وسقوط عدد من أعضاء الحزب وجرح آخرين ومن الأحداث الهامة التى وقعت بين الحزب وبريطانيا من جانب وبين الحزب وإيطاليا من جانب آخر ما يلى :

حادثة ١١ يناير عام ١٩٤٨ :

وقعت مذبحة ١١ يناير المذكورة فى أثناء زيارة اللجنة الرباعية التابعة للأمم المتحدة لمقديشيو وسببها أن الحزب قام بتنظيم مهرجان شعبى كبير بغية استعراض شعبيته أمام اللجنة ، وقد أفزع ذلك المندوب الايطالى المقيم فى مقديشيو والإيطاليين المستوطنين فقاموا بنسج خيوط مؤامرة دقيقة وشرعوا فوراً فى تنفيذها لإفشال المهرجان حيث دفعوا عناصر من البسطاء المغرورين ، والعملاء المأجورين المسلحين بالنبال والسلاح الأبيض وهاجموا المقر الرئيسى للحزب فانفض المهرجان ، وهرع الناس إلى مركز الحزب للدفاع عنه .

وقد أدرك الحزب الغرض من الهجوم وهو خلق فتنة بين الصوماليين والإثبات للعالم بأن هناك بعض الصوماليين يؤيدون عودة إيطاليا إلى الصومال ومستعدون للتضحية بأرواحهم فى سبيل ذلك وآخرون يعارضون ذلك فنادى مناد من الحزب بمكبر الصوت وأمر الأعضاء بعدم التعرض للصوماليين المأجورين والانتقام من الإيطاليين مثيرى الفتن الذين دفعوهم إلى الإخلال بالأمن والنظام وارتكاب الجريمة .

وفى ذلك الوقت استولى الجنود الصوماليون من قوات إمرى البريطانية على مخازن الأسلحه واشتركوا فى الاشتباك ضد المغيرين للدفاع عن الحزب وقيدوا بأوامر الحزب الخاصة بعدم التعرض للعناصر الصومالية المأجورة فحدثت أكبر مذبحة شهدتها مقديشيو منذ وقت طويل .

وذهب ضحيتها المناضلة « حواء تاكو » أول شهيدة وطنية يراق دمها الطاهر على

تراب مقديشيو فى سبيل الحرية والاستقلال كما ذهب ضحيتها ٥٣ إيطاليًّا من المقيمين بالصومال .

حادثة جكجكة :

فى مارس ١٩٤٨ وقع اشتباك بين أعضاء الحزب فى جكجكة وبين القوات العسكرية البريطانية تمهيداً للاحتلال الحبشى الذى كان يعارضه الحزب معارضة شديدة وقتل فى هذا الاشتباك بعض الصوماليين ممن ليسوا أعضاء فى الحزب غير أنه جرح كثيرون من أعضائه .

موقعة دجحتور :

فى ٥ أكتوبر عام ١٩٤٩ وقعت فى مقديشيو معركة دجحتور أى التراشق بالحجارة لأن الشعب استخدم الحجارة ضد القوات البريطانية وسبب ذلك أن وزيرى خارجية بريطانيا وإيطاليا « بيفن ، وسيفورزا » قد تقدما إلى الأمم المتحدة بمشروع يرمى إلى عودة إيطاليا إلى الصومال دون قيد أو شرط ، أى على شكل استعمار محض ووافقته اللجنة السياسية التابعة للأمم المتحدة بأغلبية ٣٧ صوتاً وقبل أن يوضع المشروع على بساط البحث أمام الجمعية العمومية للأمم المتحدة للموافقة النهائية عليه أعلن الحزب تنظيم مظاهرات الاحتجاج ضد المشروع فى جميع أنحاء القطر .

وفى مقديشيو نظم الحزب مظاهرات احتجاج ضخمة ضد المشروع البريطانى الإيطالى الجائر وأخذت القوات البريطانية تكيل الضربات للمتظاهرين بوحشية لتفريقهم ، واستخدم المتظاهرون الحجارة ضدها وردها على أعقابها ، ولكنها أى القوات البريطانية أمطرت على المتظاهرين وابلا من الرصاص مما أدى إلى استشهاد خمسة أشخاص وقتل سادس متأثراً بجراحه ، كما جرح عشرات آخرون من أعضاء

الحزب وقد أقيمت مظاهرات احتجاج مماثلة فى جميع أنحاء القطر أدت هى الأخرى إلى سقوط عدد من القتلى والجرحى من أعضاء الحزب وفى مقدمتهم سكرتير فرع الحزب فى دولو ورجل آخر من أعضاء الحزب .

وقد فرضت الإدارة العسكرية البريطانية نظام منع التجول على القطر كله وبالأخص العاصمة وأغلقت جميع مكاتب الحزب فى المركز والفروع وقامت باعتقالات ونفى جميع قادة الحزب وغيرهم من الأعضاء .

حادثة بيدوه :

فى أبريل عام ١٩٥٠ دفعت الإدارة الإيطالية الوصية بعض الصوماليين من عملائها ضد أعضاء الحزب فى بيدوه وهاجموهم تحت حماية البوليس الايطالى فقتلوا خمسة أشخاص وجرحوا كثيرين غيرهم وسلبوا وحرقوا أكثر ممتلكات أعضاء الحزب فى بيدوه وكان من بين الخسائر التى لحقت بأعضاء الحزب حرق حى كامل خاص بهم وتقدم الحزب إلى الأمم المتحدة بشكوى عن الحادث الذى وقع هناك وطالب الإدارة الايطالية بدفع التعويضات عن الخسائر التى لحقت بأعضائه .

فلم تجد الإدارة الايطالية الوصية مبرراً لجريمتها ، وقبلت دفع التعويضات المادية وإن لم يتسلم أصحابها التعويضات عن خسائرهم الأمر الذى لا يزال حتى الآن لغزاً غامضاً .

حادثة كيسمايو :

فى ٢ أغسطس عام ١٩٥٢ نظم حزب وحدة الشباب الصومالى مظاهرة كبيرة احتجاجاً على سوء معاملة الحاكم الإيطالى للحزب ، وعدم السماح للحزب بممارسة نشاطاته بحرية ، وشرع البوليس الايطالى يكيل الضربات للمتظاهرين بالعصى

والهراوات لتفريقهم ، وقد دافع المتظاهرون عن أنفسهم باستخدام العصى والحجارة وغيرها ضد البوليس المهاجم مما أسفر عن مقتل ضابطين ومفتش بوليس عميل من أصل عربى مستوطن ، فاتخذت الإدارة الإيطالية الحادث ذريعة للانقضاض على الحزب والقضاء عليه فقام البوليس باعتقالات جماعية وحشد سكان المدينة من أعضاء الحزب رجالا ونساءً وشيوخاً فى معسكرات اعتقال شبيهة بمعسكرات اعتقال النازية وتعرض السجناء للضرب والتعذيب الجسمانى الوحشى وعوملوا معاملة سيئة تتنافى مع أبسط قواعد الحق والعدالة والحقوق الإنسانية .

ومن المآسى التى وقعت فى معسكر الاعتقال إطلاق الرصاص على أحد المحتجزين فى مقر البوليس بكيسمايو وهو السيد/ « محمد حامع » وقد حكم على اثنى عشر رجلا من أعضاء الحزب بمدد تتراوح بين ١٧ و ٢٥ سنة مع الأشغال الشاقة دون إثبات أى شهود ، كما حكم على إحدى السيدات من أعضاء الحزب بثلاث سنوات مع الأشغال الشاقة .

حادثة اغتيال أحد الموالين للإدارة الإيطالية :

فى ٢٥ مايو عام ١٩٥٣ اغتيل فى مقديشيو شخص بارزٍ موال للإدارة الإيطالية وهو يستعد للسفر إلى الأمم المتحدة للمطالبة بتمديد فترة الوصاية تنفيذاً لمخططات الإدارة الإيطالية الوصية على الصومال دون العثور على القاتل الحقيقى .

وكعادة الإداره الإيطالية قامت بحملة اعتقالات واسعة النطاق دون تميز ، وكان الضرب والتعذيب طابع الاستجواب وقد ألصق المدعى العام الإيطالى تهماً باطلة على شخصين بريئين من أعضاء الحزب ليس لهما ضلع فى عملية الاغتيال ، وعندما مثلا أمام المحكمة أخرج القاضى المدعى العام فى أثناء المرافعة لأنه لم يجد أى إثبات أو شهود تثبت على أن المتهمين ارتكبا جريمة القتل . فقال المدعى كيف نرضى إذن أسرة الفقيد ؟

إذا ما أبرأنا ساحة هذين المتهمين ومع ذلك فقد حكمت المحكمة على الرجلين بالسجن مدى الحياة مع الأشغال الشاقة .

تلك أهم الاصطدامات والأحداث التاريخية التى وقعت بين الحزب والسلطات العسكرية البريطانية من جانب وكذلك الحزب والإدارة الإيطالية الوصية من جانب آخر . . غير اصطدامات كثيرة أخرى لم تؤد إلى إزهاق الأرواح وقعت بين الحزب وبين الإدارة الإيطالية الوصية فى الفترة الواقعة بين سنتى ١٩٥٠ و ١٩٥١ ومنها حادثة جينالى وبوصاصو وعولة وجالكعبو وغيرها .

وبالإضافة إلى التحديات التى واجهها الحزب بشجاعة فائقة والنضال الذى خاضه بعنف وقوة ضد المستعمرين وعملائهم على الصعيد الداخلى ، قام باتصالات ونشاط سياسى فى المجال الدولى وبعث إلى الأمم المتحدة فى عام ١٩٤٨ بمندوب يقيم فى نيويورك بصفة دائمة لاطلاع أعضاء الوفود على أوضاع الصومال ومايجرى فيها من الإرهاب والاضطهاد ومصادرة الحريات وقمع الحركات الوطنية ، وكذلك القتلى والسجن والتعذيب مما يتنافى مع روح اتفاقية الوصاية الدولية .

وفى عام ١٩٥١ اشترك الحزب فى المؤتمر الإسلامى الذى عقد فى كراتشى بباكستان ، وأرسل بعثات تعليمية إلى البلدان العربية وبالأخص إلى مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية واليمن .

ونظرًا لتمسك الحزب بأهدافه الوطنية ومبادئه التحررية بحزم وصلابة وإصراره على تنفيذ سياسته الرامية إلى نيل الاستقلال مهما كانت التضحيات كبيرة والثمن باهظا أحرز الحزب انتصارات عظيمة فى المجال السياسى والاجتماعى .

ففى أكتوبر عام ١٩٥٥ أجريت أول انتخابات لمجالس البلدية وقد اكتسح الحزب كل الأحزاب الأخرى الموالية لسياسة الإدارة الإيطالية وبعبارة أوضح الأحزاب العميلة وحصل على ثلثى المقاعد للمجالس البلدية كلها . وقد دفع ذلك بالإدارة الإيطالية

الوصية أن تغير مظهر سياستها المتسمة بالعنف والشدة وأن تتبع بدلا منها سياسة اللين والتفاهم مع حزب وحدة الشباب الصومالى بغية احتوائه . .

وفى يناير عام ١٩٥٦ أجريت أول انتخابات سياسية فى تاريخ الصومال وفاز الحزب بأغلبية كبيرة فى أول جمعية تشريعية منتخبة وحصل على ٤٣ مقعدا من مجموع المقاعد البالغ عددها ٦٠ مقعدا من بينها خمسة مقاعد خصصت للأجانب والمستوطنين وعلى أساس هذه الأغلبية ألف الحزب أول حكومة تتمتع بالسلطة الداخلية .

وبولادة الحكومة الصومالية المذكورة توقفت الحركة الشعبية التحررية عن الانطلاق المتمثلة فى الحزب وانتقل مركز القوة والسلطة الفعلية من الحزب إلى الحكومة وباتت سلطة الحزب مجرد سلطة شكلية .

وانتهجت الحكومة سياسة التعاون الوثيق مع الإدارة الوصية فى جميع المجالات حتى استطاعت الإدارة المذكورة احتواءه ، وقد عدت الغالبية العظمى من أعضاء الحزب هذه السياسة انحرافًا عن المبادئ والسياسة التى رسمها الحزب لنفسه منذ نشأته والرامية إلى معاداة الاستعمار ووجوب نيل استقلال حقيقى .

متى بدأ انحراف الحزب :

فى أواخر عام ١٩٥٤ بعثت اللجنة المركزية نشرة إلى جميع فروع الحزب فى المناطق والمحافظات تطالبها بالتعاون مع الإدارة الإيطالية الوصية على الصومال ، وبحث المؤتمر العام للحزب الذى عقد فى مقديشيو فى نهاية عام ١٩٥٤ مشروع التعاون مع الإدارة الإيطالية الوصية دون قيد أو شرط والذى تقدمت به اللجنة المركزية فى حين مازالت السجون تعج بمناضلى الحزب وقد أثار هذا الموضوع نقاشًا حادا بين أعضاء المؤتمر انتهى بموافقة المؤتمر على الموضوع ورفض المؤتمر اقتراحاً تقدم به أحد أعضائه بعدم المصادقة على المشروع أو اشتراط مشروع التعاون – إذا كان لابد منه – بالإفراج عن مناضلى

الحزب وتعويض أعضائه عن خسائرهم فى الممتلكات .

غير أن النتيجة العلمية لهذا التعاون لم تظهر إلا بعد تأليف الحزب للحكومة والذى أثار حفيظة أعضاء الحزب وزاد من شقة الخلافات وتعميقها على حين رأت قيادة الحزب أن سياسة التعاون مع الإدارة الإيطالية ، أمر جوهرى يتوقف عليه تحويل السلطة على الحزب بالتدريج ، وصوملة الوظائف ، كما أن الاختلاف مع الإدارة الإيطالية فى هذه الفترة يساعد على نجاح الأحزاب الموالية لسياسة الإدارة الوصية ولكن هذه التبريرات لم تساعد على تهدئة الجو ولم تقنع أحداً بوجهة نظر اللجنة المركزية حول كيفية التعاون غير المشروط .

وكان من أبرز مظاهر الانحراف عن المبادئ . وأسوئها وأكثرها تحدياً لمشاعر الأمة الصومالية ومناضلى أعضاء الحزب بصفة خاصة مسألة السماح للعناصر الموالية لسياسة الإدارة الإيطالية الوصية من عتاة الرجعية بالانضمام إلى الحزب ومنحها وظائف حساسة فى الحكومة بعد هزيمتها سياسياً وإهمال قضية النضال من أجل صوماليا الكبرى واعتبار سكان المناطق الصومالية الأخرى أجانب عن الإقليم الصومالى المشمول بالوصاية الدولية . . بناء على القانون الذى صادقت عليه الجمعية التشريعية فى آخر عام ١٩٥٧ .

كما أن إعلان الحرب على كل الحركات التحررية المعارضة لسياسة الحكومة أصبح ظاهرة مألوفة ، كما أن عجز حزب وحدة الشباب الصومالى عن توجيه سياسة حكومته كسلطة فعلية كان بداية انهياره إذ لم يكن له خط سياسى مرسوم يحافظ عليه للتخطيط ، عندما تسلم زمام السلطة فى البلاد ، ولذا فإن سياسة الحكومة وأسلوب معالجتها للقضايا السياسية الحيوية فى البلاد لم ترض غالبية المناضلين من أعضاء الحزب ، بل وخلقت روح الكراهية والتذمر ، وكان من نتيجة ذلك أن هزم فى انتخابات رئاسة الحزب فى سنة ١٩٥٧ مرشحو اللجنة المركزية أمام الحاج محمد حسين

الموجود آنذاك فى مصر لطلب العلم وهم السيد « عبد الله عيسى والسيد /آدم عبد الله عثمان والسيد /محمد عصيلي والسيد /الحاج عيسى » ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل فى الدرجة الأولى على رغبة أعضاء الحزب فى تغيير الخط السياسى الذى ينتهجه الحزب وحكومته أوضح دليل على انحراف حزب وحدة الشباب الصومالى وزعمائه بعد تسليمهم زمام السلطة فى الخطوات السياسية التى اتخذها الحزب وحكومته ومن الأمثلة على انحراف الحزب وحدة الشباب الصومالى ، استعراض بعض الحقائق الواقعة مستدلا بالخطوات السياسية للحزب ، أو البيانات وتصريحات كبار زعمائه . . وذلك مايلى :

١ – حزب وحدة الشباب الصومالى يتخلى فعليًّا عن مسئوليته إزاء تحرير الأراضى الصومالية ويتضح ذلك فيما يأتى :

(ا) تقدمت أول حكومة لحزب وحدة الشباب الصومالى إلى الجمعية التشريعية بمشروع قانون يقضى باعتبار كل من لم يولد (هو وأبوه وجده) فى الإقليم المشمول بالوصاية الدولية أجنبيا عنه ، بحيث لايجوز له أن تسند إليه وظيفة هامة فى الدولة كما تطبق عليه إجراءات نظام الهجرة كسائر الأجانب .

واشتدت المعارضة على المشروع من قبل بعض النواب النازحين من المناطق الصومالية المحتلة وفى أثناء النقاش تساءل أحد الوزراء فى الحكومة عما سيكون وضعه فى الحكومة بعد مصادقة هذا المشروع بتعديل بسيط إذ تقول المادة الأولى من قانون الجنسية الصومالية الأصلية الصادر فى أول ديسمبر ١٩٥٧ فى الحرف (ا) يعتبر المواطن الصومالى الابن والأب صومالى أصلى من إقليم صومالى ، (ويعنى به الإقليم المشمول بالوصاية الدولية) ، وتمنح المادة الرابعة من نفس القانون الصوماليين الذين يعيشون فى المناطق المحتلة حقوقًا مدنية مساوية للحقوق التى تمنح للإيطاليين وغيرهم من الأجانب الذين يعيشون فى البلد ، ولكنها تحرمهم من تولى المناصب القيادية العامة وبصورة خاصة ذات الطابع السياسى والعسكرى . . وتضيف المادة قائلة ويجوز له بموجب طلب

أن يحصل على الجنسية الصومالية .

وبطبيعة الحال فإن المرسوم التنظيمى لطرق تنفيذ هذا القانون يطبق على الصوماليين فى المناطق المحتلة إجراءات نظام الهجرة .

(ب) إن موافقة حكومة وزعماء حزب وحدة الشباب الصومالى لاتخاذه أديس أبابا مقرا لمنظمة الوحدة الأفريقية بناءً على البرقية التى بعثها السيد « آدم عبد الله عثمان » إلى الإمبراطور « هيلاسلاسى » وأبدى فيها تأييد الصومال وترحيبها بأن تكون أديس أبابا مقرًّا لمنظمة الوحدة الأفريقية والتى قال فيها أيضاً إنه أصدر تعليماته إلى مندوب الصومال ليؤيدكم وهذا يعتبر عملا معادياً للقضية الصومالية وتحدياً سافراً لمشاعر الأمة الصومالية لأن وحدة الصومال الكبرى هى مطلب جماهيرى رئيسى لايمكن الحياد عنه .

(حـ) أثارت الزيارة التى قام بها رئيسا الجمعية التشريعية وأول حكومة لحزب وحدة الشباب الصومالى للحبشة فى نهاية عام ١٩٥٧ كثيراً من الشكوك .

ويعتقد بعض الناس أن الزعيمين قد ساوما مع الحبشة بقضية الإقليم المحتل منها وذلك نتيجة لما نشرته عدة من كبريات الصحف الغربية فى يناير ١٩٥٨ وعلى رأسها تيمس ، وجارديان ، وواشنطون بوست ، وليموند الفرنسية ، وأفريكان ريبوت عن نتائج زيارة الوفد الصومالى لأديس أبابا وتتلخص فى نقطتين رئيسيتين :

١ – أن تتنازل الصومال عن الإقليم أوجادين للحبشة .

٢ – أن تقدم الحبشة للصومال مساعدات اقتصادية وثقافية .

وكانت أمريكا تعتزم فى ذلك الحين إقامة حلف رجعى غير مقدس لدول غربى البحر الأحمر يضم السودان والحبشة والصومال من أجل إيقاف المد الثورى . . إذ كانت مهمته تصفية المنازعات بين الصومال والحبشة تمهيدًا للتحالف . . ولكن الوضع السياسى فى السودان قد تغير بسقوط حكومة « عبد الله خليل » . . كما أن إنشاء حزب وحدة صوماليا الكبرى ومعارضته الشديد للأوضاع السائدة فى الصومال قد أفشل فكرة

التحالف غير المقدس فى مهده .

(د) أبدى السيد/« آدم عبد الله عثمان » رئيس الجمعية التشريعية عن معارضته لمبدأ الوحدة بين الإقليمين فى مايو ١٩٦٠ خلال المباحثات التى جرت بين قادة حزب وحدة الشباب الصومالى وبين قادة حزبى الرابطة والاتحاد بحجة أن ذلك سابق لأوانه ، واقترح ويؤكد هذه الحقيقة ماصرح به رئيس وزرائه لصحيفة تيمس اللندنية فى عددها الصادر فى ١٩٦٧/٣/٣٠ فقالت :

أما « عبد الرازق » رئيس الوزراء لاحظ أن توحيد أساليب الإدارة للصومال البريطانى والإيطالى سابقاً قد استغرق عدداً من السنين وأن إضافة الساحل الصومالى بهذه السرعة سيؤدى إلى عسر الهضم .

حزب وحدة الشباب الصومالى ينتهج سياسة موالية للغرب :

إن حزب وحدة الشباب الصومالى تخلى عن خط النضال الجماهيرى متوهماً أن باستطاعته استغلال الإرث القديم والتعاون مع الاستعمار فى تطوير البلاد . . وقد حملهم هذا الاعتقاد إنكار مساوئ الاستعمار ، ووصف الإمبرياليين بالكرم والسماحة ويعنى هذا الاستخفاف بقدرة الشعب الصومالى فى تطوير بلاده . والتجاهل عن المكاسب التى حققها بنضاله المرير ضد الاستعمار ؛ كما أن ذلك دفعهم إلى تحمل مسئولية حماية المصالح للاحتكارات الأجنبية .

ويفسر هذه الحقيقة التصريحات التى أدلى بها زعماء حزب وحدة الشباب الصومالى ومنها مايلى :

الرسالة التى بعثها السيد/« آدم عبد الله عثمان » رئيس الجمعية التشريعية آنذاك إلى الحاج/« محمد حسين » بتاريخ ١٩٥٧/٩/٥ بمناسبة انتخابه رئيساً للحزب[١] .

(١) نشرة مركز البحوث للحزب الاشتراكى الثورى الصومالى .

نورد فى الأسطر التالية أهم الفقرات التى تضمنتها الرسالة فاستهل السيد/« آدم عبد الله عثمان » خطابه بتهنئة الحاج/« محمد حسين » بمناسبة انتخابه رئيساً للحزب ، ثم أعاد إلى ذهنه أن الصومال خطت خطوات نحو الاستقلال ، وأنها تمر الآن بمرحلة تتطلب فيها المزيد من الاستقرار ، وإلى تقدير من الخارج لدعم ماوصلت إليه من نتائج ومواصلة الجهود لنيل الاستقلال الكامل ، ولايكون ذلك إلا باكتسابنا العطف من جميع الدول المشتركة فى الأمم المتحدة وليس فى صالح الصومال أن يكون لها أعداء من الغرب أو الشرق .

وإلى هنا يبدو الأمر عادياً برغم ماتتضمنه هذه العبارة المهذبة من ميل نحو الغرب ولكن السيد /« آدم عبد الله عثمان » عاد مرة أخرى فعبر عن استيائه للأحاديث التى يلقيها الحاج/« محمد حسين » بإذاعة القاهرة التى يهاجم فيها الايطاليين والغربيين ، ووصف هذه الأحاديث بأنها تورث القلق والغموض اللذين يخشى أن يعرقلا أمانى الشعب الصومالى وفى الوقت ذاته اعترف السيد/« آدم عبد الله عثمان » بصحة وحقيقة بعض ماجاء فى هذه الأحاديث وعبر عن اعتقاده أيضًا بأن الدعاية ضد الغرب تعطيه مجالا لاتهام الصومال بالشيوعية ، الأمر الذى يؤدى إلى عاقبة غير محمودة .

ومضى يقول هذه الدعايات تسبب البغضاء وعدم الثقة فى الايطاليين الراغبين فى الاستقرار للعمل فى الصومال .

وأشار إلى أن الحاج/« محمد حسين » تناسى وجود برلمان وحكومة صومالية مسئولين عن التشريع فى شئون القطر الداخلية ، واعتبر ذلك إهانة لأكبر هيئتين لهما السلطة فى القطر ، والمعروف أن الإدارة الايطالية كانت تحاول فى تلك الفترة التنصل من مسئولياتها تجاه سوء الإدارة والمظالم ووضعها على البرلمان والحكومة الصومالية لو كانت تلك المخالفات القانونية لاتتفق مع اتفاقية الوصاية الدولية .

وفى ختام رسالته ناشد السيد/« آدم عبد الله عثمان » بترك مهاجمة أى قطر عبر الأثير

والنشر باعتباره غير مجد .

بالبرقية التى بعثها « عبد الله عثمان » إلى رئيس جمهورية إيطاليا بمناسبة الذكرى المئوية لتوحيد إيطاليا فقال إن فترة ستين سنة من تاريخ دخول إيطاليا هذا البلد تربط ببلدينا وهى مفعمة بتلك الإحساسات من الشعور الفياض النزيه سواء كان ذلك بسبب العشرة الطويلة التى أدت إلى الحصول على الاستقلال أم بسبب الرغبة الصادقة فى التعاون فى جميع الميادين بفضل رجال الأعمال الإيطاليين الكرماء الذين يشاركوننا فى بناء صوماليا وإننا نشعر بأن هذه الروابط تزداد قوة ومتانة .

وقال السيد/ « آدم عبد الله عثمان » فى خطابه فى أثناء زيارته لإيطاليا فى السادس من أكتوبر ١٩٦٣ ففى يومنا هذا إذا أرادت الشعوب الأفريقية أن تصير مستقلة لا يمكنها إلا أن تحتفظ بعلاقاتها مع أوربا .

أدلى السيد/ «عبد الله عيسى» رئيس أول حكومة لصوماليا تصريحًا لمراسل صحيفة تيمس الأمريكية فى عددها الصادر فى ٤ مارس ١٩٥٨ .

فقال إن ماتعتقدونه أيها الأمريكيون أننا متجهون فى صراع قبل أن نحصل على استقلالنا هى أن الرياح الموسمية القادمة من المحيط الهندى ومن الشرق الأوسط التى تهب على شرق أفريقيا من المستحيل أن تهز نافذة مكتبى .

اعتبر المرحوم « عبد الرشيد » المكاسب التى حققها الشعب الصومالى بدمه وتضحياته فضلا ومنة من قبل الاحتكاريين الإيطاليين ، فقال فى برنامج حكومته الذى قدمه إلى البرلمان أريد أن أقطع على نفسى عهدا تجاه أرباب الاقتصاد الأجانب والذين يجب أن يقر لهم الشعب الصومالى بالفضل لأنهم بسبب تضحيتهم وذكائهم واستثمار أموالهم ، قد سمحوا بتحقيق ذلك التطوير الاقتصادى الذى يكون أساس الانطلاق لتقدم الاقتصاد الصومالى ، وأنكر فى برنامج حكومته هذه الجرائم الفظيعة التى ارتكبها الاستعمار الإيطالى الفاشى إبان حكمه الأسود على الصومال ، فقال فلا يمكن لصوماليا

أن تنسى قط العمل الذى قامت به إيطاليا مائة سنة .

اعتبر الشعب الصومالى ماأسماه « محمد إبراهيم عجال » بمذكرة التفاهم التى توصل بها مع « جوموكينياتا » فى ٢٨ أكتوبر ١٩٦٧ والتى التزم بها ، بأن الصومال يحافظ على السلام من جانبها على الحدود والتفادى من وقوع خسائر فى الأرواح والممتلكات كما تمتنع الصومال عن الدعاية عن طريق وسائل الإعلام المختلفة اعتبرها تنازلا خطيراً عن مطالبة الصومال لأنفدى .

ناشد « محمد إبراهيم عجال » رئيس الوزراء المخلوع فى الخطاب الذى ألقاه فى يناير ١٩٦٨ بمناسبة زيارة « همفرى » نائب رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية للصومال ناشد الزعماء الأفريقيين بقبول « آيان اسميث » فى منظمة الوحدة الأفريقية كعضو وكقائد أفريقى ، ودعا إلى إقامة دولة متعددة الأجناس فى روديسيا متبنياً بذلك فكرة بريطانيا الفاشلة التى تخلت عنها منذ عشر سنوات مضت بإقامة مثل هذه الحكومة وبذلك تحدى مشاعر الأفريقيين لا الصوماليين وحدهم .

ومن أهم العوامل الرئيسية التى فتحت باب الانحراف على مصراعيه وجعت الحزب يتخبط خبط عشواء ، انعدام وجود منهج سياسى واقتصادى واجتماعى معين يحدد العلاقة بين الحزب وحكومته وبين الحزب والجماهير وكذلك مسئولية كل طرف من هذه الأطراف فى عملية بناء الوطن . . وقد فقد البرنامج المرحلى للحزب فى أثناء النضال فعاليته عندما تولى سلطة البلاد الداخلية . وفى هذه المرحلة الانتقالية استطاع الاستعمار الاحتواء بالحزب وأن يجعله موالياً لسياسته ، وبدأ يعادى كل حركة تحررية وينظر إليها بعين الشك والريبة ، حتى فقد الجماهيرية ، وانفضت من حوله مما أفقده كل المقومات الأساسية للحزب وصار أشبه بشركة احتكارية تجارية منه إلى حزب سياسى احتكر السياسة واحتكر الثروة الوطنية مستخدما فى ذلك المال لشراء الضمير والذمم أو العنف والقوة إذا اقتضت الضرورة فى ذلك مطبقاً بذلك (الميكافيلية) المشهورة القائلة

الغاية تبرر الوسيلة ، ويؤكد هذه الحقيقة البيان الرسمى الذى أذاعه رئيس الوزراء الأسبق السيد/« محمد إبراهيم عجال » عقب الانتخابات العامة لسنة ١٩٦٩ والذى ادعى فيه بأن الانتخابات السياسية قد أجريت فى جو ديمقراطى تسوده العدالة وأن ٢٥ شخصاً فقط قد قتلوا فى الانتخابات .

لذا لم يستفد الشعب الصومالى من الاستقلال بصورة إيجابية ولم يجن منه الثمار المرجوة إذا لم يتتصر بعد على الثالوث المخيف الفقر والجهل والمرض حيث أن الأوضاع الاقتصادية قبل الاستقلال ظلت قائمة دون أن تتغير وإذا كان ثمة أى زيادة فى الدخل كان يتبعها دائماً زيادة فى المصروفات . ومع ذلك فإن حزب وحدة الشباب الصومالى استمر فى الحكم لمدة ١٥ سنة كاملة . . . فما السبب . . . ؟

قبل الإجابة عن هذا السؤال ينبغى أن نعلم أن الحزب فقد شعبيته وعاش بعد مؤتمره العام الذى انعقد ٢٥ مارس ١٩٥٨ الذى استمر تسعين يوماً هيكلا بدون روح . . . ولكن مجموعة من الساسة المحترفين حكموا البلاد باسمه وكانوا يمارسون كل أنواع الظلم والجور والفساد . لنعد إلى الإجابة عن جوهر السؤال فنقول :

إن من أبرز العوامل التى تحكمت فى الوضع ، ولعبت أدواراً خطيرة فى سيطرة حزب وحدة الشباب الصومالى على مقدرات الشعب مايلى :

١ –انخفاض الوعى السياسى فى الشعب والفقر المدقع الذى فرض عليه .

وهذان العاملان هما أزمة كل الشعوب المتخلفة اقتصاديًّا واجتماعيًّا إذ يفرضان على الشعب سيطرة حكام مغالين فى الرجعية على مصائرها وأنظمة فاسدة لاتتنفس مع مصالحها .

٢ – استغلال زعماء حزب وحدة الشباب الصومالى القبلية أسوأ استغلال عرفه التاريخ باعتبارها نقطة ضعف الشعب الصومالى .

٣ – استخدام المال لشراء الذمم والضمائر أو اللجوء إلى القوة والعنف ، ولتحقيق

أهدافه طبقاً للنظرية (الميكافيلية) المشهورة القائلة . « بأن الغاية تبرر الوسيلة » ، ونظراً لتحكم هذه العوامل فى أوضاع البلاد ، عجز الشعب الصومالى عن الانتصار على الفئة الحاكمة باسم حزب وحدة الشباب الصومالى بالطريقة الديمقراطية المألوفة طريقة الانتخابات الحرة التى حرمت الجماهير من ممارستها منذ أن تولى حزب وحدة الشباب زمام السلطة ومن شأن هذه الظروف التى أحاطت به أن تحتم عليه الزوال والاختفاء عن المسرح السياسى نظراً لتوفر كل الأسباب الموجبة لذلك .

تأسيس حزب وحدة صوماليا الكبرى :

أسس حزب وحدة صوماليا الكبرى فى ٢٥ يونيو عام ١٩٥٨ ولم يكن تأسيسه حدثاً طارئاً ولا صدفة ، بل كان يمثل جزءاً هامًّا وأساسيًّا من تطور النضال العنيف الذى شنته الجماهير على الاستعمار وعملائه ، كما كان نتيجة للاختلاف فى الرأى حول المسائل السياسية الحيوية المؤثرة على مصير البلاد السياسى والقضايا الملحة التى تتطلب حلا عاجلا .

ومن بين المسائل المختلف عليها اما سموه بالتعاون مع الإدارة الإيطالية الوصية وهو الذى أقره مؤتمر حزب وحدة الشباب الصومالى فى نهاية عام ١٩٥٤ وعملت بموجبه أول حكومة فى أثناء فترة الحكم الذاتى ، واعتبرت الغالبية من أعضاء الحزب هذه السياسة استسلاماً للاستعمار الممثل فى الإدارة الإيطالية الوصية كما أن السماح للعناصر الموالية لها بالانضمام إلى الحزب فى عام ١٩٥٧ واعتبار سكان مناطق الصوماليات الأخرى أجانب عن الإقليم الصومالى المشمول بالوصاية الأمر الذى أثار حفيظة الأعضاء ، ولذا كان انشقاق حزب وحدة صوماليا الكبرى الذى وضع لنفسه برنامجاً سياسيًّا يحدد الخط السياسى الذى يسير على منهجه أمراً طبيعيًّا وفى الحال شن على سياسة زعماء حزب وحدة الشباب الصومالى ، حملة دعائية عنيفة واتهمهم بموالاة

الاستعمار والسير فى ركابه وانتقدهم بشدة بطريقة معالجتهم للقضايا السياسية .

وبما أن الوحدة الصومالية قضية حساسة لها تأثيرها العميق ومفعولها السحرى فى نفسية الرجل الصومالى العادى فقد أبرزها الحزب بصورة خاصة ورفع شعارها وضمها فى برنامجه السياسى كهدف أساسى يسعى لتحقيقه والوصول إليه .

ومن أهم النقاط الرئيسية التى تضمنها البرنامج ما يلى :

١ – حزب وحدة صوماليا الكبرى هو الحزب المعبر عن المصالح الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لكافة طبقات الشعب الصومالى من عمال وفلاحين وتجار وأصحاب أعمال وموظفين ويعبر عن رغبات الشعب وأمانيه وتكون إرادته هى العليا .

٢ – يناضل الحزب من غير ضعف أو تخاذل من أجل أن يحقق استقلال الصومال وتحريره من التبعية الاستعمارية وتوحيد كافة أجزاء الوطن الصومالى .

٣ – يناضل الحزب من أجل السياسة الخارجية المستقلة التى تقوم على مبدأ عدم الانحياز وصداقة شعوب العالم وتدعيم اقتصاد الوطن من أجل أن يتمتع الشعب الصومالى بحقوق ديمقراطية كاملة .

وأبدى حزب وحدة صوماليا الكبرى مخاوفه وشكوكه من حسن نوايا الإدارة الايطالية تجاه استقلال الإقليم فى موعده المحدد، بل واتهمها بالمماطلة ومحاولة تأجيل موعده بالتواطؤ مع الدول الغربية الاستعمارية الأخرى لتبريرات واهية .

وفى الواقع أنه كان لهذه المخاوف ما يبررها فقد ظهر فى المرحلة الأخيرة من عهد الوصاية اتجاه جديد لزعماء وحدة الشباب الصومالى والدول الاستعمارية الغربية يدعو إلى تأجيل موعد الاستقلال لحجج واهية منها عدم نضج الصوماليين لتحمل المسئولية وفى هذه الفترة دعت كثير من كبريات الصحف الأوربية والأمريكية إلى تمديد فترة الوصاية ونذكر منها على سبيل المثال ما قالته صحيفة (لوموند) الفرنسية التى اقترحت

فى عام ١٩٥٩ ضرورة مد فترة الوصاية على الصومال لمدة عشر سنوات أخرى تنتهى فى ديسمبر عام ١٩٧٠ مع تغيير أعضاء المجلس الاستشارى بأكمله ، حيث يتكون من مندوبين من إنجلترا وفرنسا وأمريكا وأثيوبيا بدلا من مصر وكولومبيا والفلبين بحجة ضعف الوضع الاقتصادى والعسكرى .

نجح الحزب فى إثارة حماس الجماهير وكسب عطفها وضمان تأييدها لوجهة نظره فى المسائل السياسية غير أنه عجز فى اجتذاب الطبقة المثقفة التى وقفت فى هذه المرحلة من النضال موقف المتفرج خشية أن تتضرر به وتتعرض مصالحها للخطر مما كان له أثر غير حسن على الحزب كما كان للحملة الاستعمارية المنظمة المضادة بشأن اتهام الحزب بالقبلية أثر مماثل .

وظهر للإدارة الإيطالية الوصية شأنها فى ذلك شأن كل الدول الغربية الأخرى أن حزب وحدة صوماليا الكبرى خطر على مصالحها ويشكل تهديداً على مستقبل علاقات الغرب بالصومال إذا ما نجح فى الانتخابات السياسة المزمع إجراؤها فى مطلع عام ١٩٥٩ فعقدت العزم على مقاومته بكل الوسائل الممكنة للحيلولة دون ذلك واتخذت ضد الحزب إجراءات تعسفية فى منتهى العنف والقسوة ومارست ضده أسوء أنواع الضغط والإرهاب وكان حزب وحدة الشباب الصومالى يمثل رأس الحربة لهذا الإرهاب ومن بين الإجراءات التى اتخذتها ما يلى :

١ – فصل أعضاء الحزب من العمل جماعيًّا .

٢ – الزج بالعناصر الوطنية النشيطة فى السجون أو نفيهم أو فرض إقامه جبرية عليهم .

٣ – منع الحزب من ممارسة نشاطاته السياسية ووأد الحريات العامة .

وفى هذا الجو المكهرب الملئ بالرعب والخوف صدر قانون الانتخابات السياسية لعام ١٩٥٩ وهو أشبه بقانون الغاب منه إلى قانون ديمقراطى حديث ، وبالأخص المادة

التاسعة التى تعطى وزير الداخلية وحكام المحافظات والأقاليم سلطات واسعة غير محدودة وتجيز لهم اعتقال الأشخاص دون محاكمة أو توجيه أى تهم أو احتجازهم وقائيًا لمدة ٦ أشهر بدون مبرر مما اضطر الحزب إلى مقاطعة الانتخابات لتجنب إراقة الدماء .

وذهبت الإدارة الإيطالية الوصية على الصومال والتى تستخدم السلطات الصومالية المحلية كمخلب قط للانقضاض على الحركة ذهبت إلى أبعد من ذلك حيث افتعلت حادثة شغب بإلقاء قنبلة فى ٢٥ فبراير عام ١٩٥٩ على مقربة من (بار آزان) الذى يرتاده عادة كثير من الغربيين من مختلف الأجناس واتخذت من هذه الحادثة المفتعلة ذريعة للتخلص من القيادة والعناصر الأكثر نشاطاً وكان الغرض من اتخاذ هذه الخطوة هو إيقاف النضال ضد الإدارة الإيطالية الوصية والحكومة الرجعية الصومالية ، كى تتاح لها فرصة لتقرير مصير الشعب الصومالى الذى قارب نهايته وفق رغبتها .

وفى نفس ليلة حادث القنبلة ألقى القبض على ما لا يقل عن ١٢٠٠ شخص من أعضاء الحزب بما فيهم جميع أعضاء القيادة ، وفى صباح اليوم التالى احتشد جمهور غفير فى مقر الحزب لمعرفة ما حدث فى الليلة الماضية ومعرفة أسباب الاعتقالات الجماعية .

وجاء إلى مقر الحزب حاكم مقديشيو آنذاك بصحبة عدد كبير من البوليس فأمر بإطلاق الرصاص على جميع الشعب ، ثم حدث اشتباك بين البوليس وأعضاء الحزب وكان من نتيجة ذلك طعن حاكم مقديشيو بالسكين ، ومقتل رجل من أعضاء الحزب ، وجرح عدة أشخاص من بينهم فتاة قطعت إحدى ساقيها .

والذى يحملنا على الاعتقاد بأن الحادث مدبر ومفتعل ، هو أن الفحص على نوعية القنبلة قد أثبت أنها غير قاتلة ، وليس لها أى ضرر على حياة الأشخاص ، وسواء صح هذا الاعتقاد أم لا فإن الإدارة الإيطالية الوصية والحكومة الصومالية المؤتمرة بأمرها قد اتخذت من الحادث تبريراً للتخلص من الحزب . حيث انتهجت الحكومة تجاه الحزب

سياسة ترمى بتحديد نشاطاته وقمع حركته الأمر الذى شجع العناصر الضعيفة الشخصية من الموظفين بالتنافس فى مضايقة الحزب باعتبار ذلك وسيلة للترقيات والتعيينات إلى الوظائف العالية فى حين يتعرض الموظفون الذين يبدون نحوه أدنى عطف للعقاب سواء بالفصل عن العمل أو السجن أو كليهما معاً .

وقد بذل الحزب مجهودات جبارة لكشف المؤامرات المدبرة ضده من جانب الاستعمار والرجعية التى تباشر أعمال التخريب بوحى منه كشف للشعب الصومالى وللعالم المؤامرة على حقيقتها فأجرى اتصالات واسعة النطاق مع عدد من الدول المتحررة والأحزاب والمنظمات الدولية كما شملت هذه الاتصالات الشعب الصومالى على اختلاف أقاليمه ، وذلك لشرح الحادثة المفتعلة ودوافعها ووجهة نظره فى المسائل السياسية وقد لقيت قضية الحزب عطفاً وتفهماً فى الصعيدين الداخلى والخارجى .

ففى الميدان الداخلى أيدت الجماهير الصومالية موقف الحزب من حل القضايا السياسية ، واستهجنت وأد الحريات العامة ، كما أظهرت شجبها للجرائم والاضطهاد اللذين يمارسهما الاستعمار وعملاؤه ضد الحزب ، وقدمت للحزب تبرعات سخية لتدعيم مركزه المالى وتمكينه من تأدية رسالته فى تلك المرحلة الدقيقة التى تجتازها البلاد .

أما على الصعيد الخارجى فإن أهم ما قام به الحزب من اتصالات هو الوفد الذى بعث به مع وفد آخر من الأحزاب المعارضة إلى نيويورك عام ١٩٥٩ لحضور جلسات مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة وتقديم الشكوى عن أعمال الإداره الإيطالية بشأن مصادرة حريات الأحزاب السياسية وخنقها وقمع الحركات .

وأوصى مجلس الوصاية الذى أنهى سلسلته فى ٦ أغسطس عام ١٩٥٩ بضمان حرية العمل للأحزاب السياسية والإفراج عن زعمائها المعتقلين وإحصاء السكان ، وحل مشكلة المحاربين القدماء وتشكيل اللجنة السياسية والجمعية التأسيسية وتعديل قانون الانتخابات واستفتاء الشعب على الدستور .

وبعث كل من منظمة التضامن الأسيوى الأفريقى والحزب الشيوعى الايطالى محامياً للدفاع عن المسجونين من أعضاء الحزب .

وفى أوائل سبتمبر عام ١٩٥٩ قدم إلى المحاكمة ٤٨ شخصاً من أعضاء الحزب بما فيهم أعضاء اللجنة المركزية وحكم على ٩ أفراد منهم بمدد تتراوح بين ٦ و ٩ سنوات وبرئت ساحة ٣٩ شخصاً من بينهم جميع أعضاء اللجنة المركزية .

حزب وحدة صوماليا الكبرى وتقديم موعد الاستقلال :

قد ذكر من قبل أن الدول الغربية كانت تسعى إلى تأجيل موعد الاستقلال وتأمل تحقيق هذا الغرض بإقناع الرأى العام العالمى والصومالى بأن الأوضاع السائدة فى البلاد لا تسمح للصومال بتحمل مسئوليات الاستقلال وتبعاته ، واقتراح صحيفة لوموند الفرنسية الآنف الذكر بشأن تأجيل موعد الاستقلال ، يؤكد هذه الحقيقة ، ولكن هذه الآمال قد تضاءلت بعد انشقاق حزب وحدة الشباب الصومالى من بعضه وإنشاء حزب وحدة صوماليا الكبرى الذى شن حملة دعائية على أساليب الإدارة الإيطالية الوصية وتأثرها مع الرجعية الصومالية المهتمة بمصالحها الخاصة فقط ، وهى الواجهة الرمزية لكل ما هو معاد للاستقلال الحقيقى الذى يتيح للصومال استغلال كافة موارده وإمكانياته المادية والبشرية لإحراز أكبر قدر ممكن من التقدم والنمو الاقتصادى .

ونظراً لاشتداد نضال لشعب الصومالى ضد الاستعمار والرأى العام العالمى المؤيد له اضطرت الإدارة الإيطالية إلى تقديم الاستقلال على أن يحقق فى الوقت ذاته سياسة بعيدة المدى وذلك بتحويل المسئولية على من يثق فيهم ، بحيث يتركون الأوضاع القائمة على ما هى عليه من التخلف وفعلاً نجح الاستعمار فى الوصول إلى هذه الغاية .

ولمزيد من الإيضاحات فيما يتعلق بهذا الموضوع أشيرة هنا إلى أن الإدارة الإيطالية الوصية رفضت تنفيذ توصيات مجلس الوصاية الصادرة فى أغسطس ١٩٥٩ فاضطرت

الأحزاب المعارضة وعلى رأسها حزب وحدة صوماليا الكبرى ، إلى إرسال وفد آخر إلى نيويورك لحضور اجتماعات الجمعية العامة للأمم المتحدة وإحاطتها علماً بالموقف المتعنت للإدارة الإيطالية الوصية تجاه قرارات مجلس الوصاية الدولى .

وفى ١٧ من نوفمبر ١٩٥٩ ألقى مندوب حزب وحدة صوماليا الكبرى بيانه الأول باسم الأحزاب المعارضة وبجانب ذلك ظهر فى الجمعية العامه اتجاه يتبناه بعض مندوبى الدول الأفريقية والأسيويه يطلب إعادة الانتخابات السياسية تحت إشراف لجنة من الأمم المتحدة قبل الاستقلال وهو ما تتجنبه إيطاليا ولمواجهة هذا الاتجاه قدمت بعض الدول الغربية ومن بينها أمريكا وإيطاليا وكندا اقتراحاً بتقديم الاستقلال على أن تقرر ذلك الموعد حكومتا إيطاليا وصوماليا .

وفى ٢٣ نوفمبر أيضاً ألقى مندوب حزب وحدة صوماليا الكبرى بياناً آخر رحب فيه بتقديم موعد الاستقلال ترحيباً حارًا وعبر عن موافقة حزبه على عرض إيطاليا ، ووصفه بأنه عرض سخى ، ما لم تكن تقصد منه مناورة سياسية لإطالة أمد الوضع الراهن .

وطالب مندوبو الدول الأفريقية والآسيوية الذين رحبوا بدورهم بالاقتراح بتحديد موعد الاستقلال من جانب إيطاليا .

وبعد أن أجرى مندوب إيطاليا مشاورات مع عضو الحكومة الصومالية المتمتعة بالحكم الذاتى ومع بعض مندوبى الدول الغربية أعلن موافقته على تقديم موعد الاستقلال فى الربيع القادم ، ولكن مندوب حزب وحدة صوماليا الكبرى ومندوبو الدول الأفريقية والآسيوية عارضوا ذلك .

وقال مندوبا الهند والعراق أن كلمة الربيع أو الخريف أو الصيف عائمة غير محددة نظراً لاختلاف الفصول على البقاع المختلفة للعالم وعليه فإننا نأمل تحديد الموعد بوضوح .

ثم سحب مندوب إيطاليا اقتراحه وعاد يحدد ، إما أول يوليو ١٩٦٠ وإما فى ٢

أكتوبر ١٩٦٠ موعداً للاستقلال .

وتصدى مندوبو الدول الأفريقية والآسيوية لهذا التحديد وطالبوا بشدة بتحديد يوم معين وأصروا على ذلك إصراراً شديداً وقالوا إذا كانت إيطاليا صادقة فى عرضها ، فلماذا لا تعين تاريخاً محدداً ، ثم طلب مندوب إيطاليا إعطاؤه فرصة للتشاور مع حكومته لمدة ثلاثة أيام .

وفى أثناء هذه المدة وافقت حكومة إيطاليا وكذلك حكومة الجمعية التشريعية الصومالية على تحديد أول يوليو موعداً للاستقلال ، وبذلك تمت الموافقة على أن يكون أول يوليو موعدًا لنيل الصومال حريته واستقلاله .

إن حزب وحدة صوماليا الكبرى الذى قام بدور كبير فى النضال ضد الاستعمار وعملائه المحليين وحقق انتصاراً عظيماً أدى إلى تقديم موعد الاستقلال ، قد دب فيه الضعف التدريجى بعد نيل الاستقلال حتى اختفى عن مسرح السياسة فى نهاية الأمر كغيره من الأحزاب الصومالية .

تأسيس حزب الرابطة الوطنية الصومالية :

أسس حزب الرابطة الوطنية الصومالية فى محمية الصومال البريطانى سابقاً فى أواخر عام ١٩٥١ ، وكان تأسيس هذا الحزب نتيجة لتطور حركة سياسية واجتماعية فى محمية الصومال البريطانى عاشت ١٥ سنة تتعثر خلالها تواجه أزمات حادة تستسلم تارة لقيادة سطحية ليس لديها رؤية واضحة فى خط سيرها . . وأخرى انتهازية وصولية تسعى إلى الحصول على المنفعة وثالثة مدسوسة فى الحركة لارتباطها بالاستعمار حتى تتمكن من خداع الشعب وتضليله عن حقيقة مطالبه ومرت الحركة بثلاث مراحل هامة نشأت خلالها جمعيات وأحزاب سياسية .

(أ) المرحلة الأولى وظهور الجمعيات الدينية :

اتسمت الحركة فى هذه المرحلة من تاريخ حياتها بالتقليد وخلوها من أى مضمون أو محتوى سياسى يستحق الذكر ، وقد نشأت الحركة فى محمية الصومال البريطانى آنذاك فى سنة ١٩٣٧ على شكل جمعيات تحمل أسماءً اجتماعية كالجمعية الخيرية فى هرجسية ، ونادى عطية الرحمن فى برعو.

ولم يكن لهذه الجمعيات التى كانت امتداداً للجمعيات الاجتماعية والمهنية التى ظهرت فى ساحل الصومال الفرنسى – دور سياسى باستثناء التصدى لبعض المشاريع الاستعمارية وإثارة الشعب ضدها أو تقدم الشكاوى ضد بعض الحكام البريطانيين الجائرين .

(ب) المرحلة الثانية . . إنشاء الجمعيات ذات الصبغة السياسية الصومالية :

إن التغييرات الجذرية البعيدة المدى التى طرأت على العالم بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها ، صاحبت معها قوة جديدة وهى ظهور القوى التحررية فى العالم وتعاظمها ، واغتنم الصوماليون فى المحمية الفرصة السانحة بدورهم وأنشئوا حزباً سياسيًّا أطلقوا عليه الجمعية الوطنية الصومالية وقدمت له بريطانيا فى أول الأمر تسهيلات مماثلة للتسهيلات التى قدمتها لحزب وحدة الشباب الصومالى حتى قوى مركزه وصارت له فروع فى جميع أنحاء المحمية وأجزاء كثيرة من المنطقة المحتلة من الحبشة .

ولعب الحزب دوراً سياسيًّا لا يستهان به فى إيقاظ المشاعر الوطنية ولكنه تعرض للضغط والإرهاب والقمع الشديد من جانب بريطانيا فى نهاية الأمر وذلك فى نفس الوقت الذى تعرض فيه حزب وحدة الشباب الصومالى للانتقام من السلطات

العسكرية البريطانية فى سنة ١٩٤٨ .

ومما يؤسف له أن الجمعية الوطنية الصومالية لم تصمد طويلا أمام عملية القمع الوحشية إذ لجأت السلطات البريطانية فى المحمية إلى أسلوب يخالف الأسلوب الذى واجهت به حزب وحدة الشباب الصومالى ، وهو أسلوب الدس والوقيعة بين الأهالى ، وإثارة النعرات القبلية فيهم الأمر الذى أدى إلى إشعال نيران الفتنة بين الأهالى ووقوع معارك دامية ذهب ضحيتها كثير من المواطنين مما سهل للسلطات البريطانية كسر شوكة الحزب والقضاء عليه دون عناء كبير.

(جـ) مرحلة تفتح الوعى السياسى . وإنشاء حزب الرابطة الوطنية الصومالية :

أنشئ حزب الرابطة الوطنية الصومالية فى أواخر سنة ١٩٥١ ، ولقيام هذا الحزب كغيره من الأحزاب عوامل خارجية وأخرى محلية والعوامل الخارجية ذات الصلة بموضوع إنشاء الحزب هى أن الثورات التحررية العالمية التى تفجرت فى أجزاء كثيرة من قارتى أسيا وأفريقيا فى الخمسينيات من هذا القرن ، وانتصارها على الاستعمار فى أنحاء كثيرة من العالم ، وخاصة قرب محمية الصومال من الوطن العربى الذى كان يموج بالحركات السياسية والتحررية أدت إلى إنشاء وتطور الحياة السياسية فى الصومال الشمالى وكانت نتائجها ، إنشاء حزب الرابطه الوطنية . وأما العامل المحلى الذى له علاقة بتأسيس الحزب هو تطور الحياة الحزبية فى محمية الصومال البريطانى وانتقالها من مرحلة إلى أخرى أبعد عمقاً وأرحب آفاقاً ، وكان أيضا للحماس الشعبى الذى أثارته بعثة من الأزهر الشريف للمحمية فى عام ١٩٥١ ، المكونة من « الشيخ عبد الله المشد ، والشيخ خليفة » أثر حسن فى قيام الحزب ، غير أن نشاطه السياسى لم يزل محدوداً حتى عام ١٩٥٧ .

وفى أثناء تلك الفترة التى ظل نشاط الحزب فيها شبه مجمد ، قامت الجبهة الوطنية

المتحدة التى ضمت ممثلين عن جميع الهيئات والأحزاب السياسية فى المحمية عقب تسليم بريطانيا منطقة هود والأراضى المحجوزة إلى الحبشة فى فبراير ١٩٥٥ مما أثار غضب الشعب الصومالى وأدى إلى قيام مظاهرات ضخمة احتجاجاً على سياسة بريطانيا تجاه المنطقة المذكورة لكى تقوم الجبهة بتدويل القضية وقيادة نضال الشعب ضد سياسة بريطانيا وسرعان ما تسلل إلى قيادة الجبهة عناصر مرتبطة بالاستعمار ارتباطاً وثيقاً وقامت بصرف الشعب كعادتها عن حقيقة مطالبه وتبديد قواه فى متاهات عميقة ولم يمض وقت طويل حتى نجحت بريطانيا فى احتواء الجبهة وإيقاف نشاطها .

وفى عام ١٩٥٧ تولت قيادة حزب الرابطة الوطنية الصومالية مجموعة من الشباب الوطنى المستنير ، تؤمن بأن شن النضال العنيف على الاستعمار البريطانى هو الطريق الوحيد لتغيير الأوضاع السائدة آنذاك فى المحمية ، ولتفسح المجال أمام أوضاع جديدة تتمشى مع رغبات الشعب الصومالى وتطلعاته إلى الحرية والاستقلال ، وكانت تلك أول مرة أسلمت الجماهير فى ذلك الجزء من الوطن الصومالى مسئولية النضال إلى الطلائع الثورية من شبابها ، وفعلاً أثبتت القيادة الجديدة قدرتها على العمل وتحمل مسئوليتها الكبرى الملقاة على عاتقها ، برغم ما قامت به الرجعية فى داخل الحزب وخارجه من محاولات لتغيير اتجاه النضال والمساومة مع الاستعمار .

ويتجلى اتجاه الحزب فى الأهداف الرئيسية التالية :

١ - الاستقلال التام بدون قيد ولا شرط ولا مماطلة .

٢ - توحيد أجزاء الصومال الخمسة تحت راية واحدة .

٣ - رفع مستوى معيشة الصومال وتنمية الاقتصاد الوطنى .

٤ - محو الأمية ونشر التعاليم الإسلامية والأفكار الحديثة .

٥ - محاربة القبلية .

ومن أخطر الخطوات التى اتخذتها القيادة الجديدة لحزب الرابطة الوطنية وأوفقها

وأبعدها أثراً على الوضع السياسى فى المحمية والتى تعتبر إنجازاً سياسيًا رائعاً تحطيم الجبهة الوطنية المتحدة التى كانت تمثل الرجعية وأداة الاستعمار لتضليل الشعب وخداعه وذلك بسحب الثقة منها ، وفضح أساليب عملها ، وكشف القناع عن وجهها الحقيقى ، بشن حملة دعائية واسعة النطاق كان لها صدى فى الأوساط الشعبية وكان لها تأثيرها العميق على رجل الشارع .

وبلغ حزب الرابطة الوطنية الصومالية مجلس الجبهة الوطنية المتحدة فى مذكرة بعث بها إليه بتاريخ ١٩٥٨/١٠/٢٩ ، أنه قد اتخذ قرار فى ١٩٥٨/٧/٣١ بسحب الثقة منه كما أبلغ الحزب قرار سحب الثقة إلى ممثلى حزب الرابطة فى مجلس الجبهة الوطنية والسكرتير الإدارى للسلطات البريطانية فى المحمية وجميع الأحزاب السياسية والمنظمات والهيئات الصومالية فى كل من الصومال البريطانى والصومال الإيطالى وعدن والقاهرة ولندن والسعودية .

وأتاح هذا القرار التاريخى لحزب الرابطة الوطنية قيادة نضال الشعب وإعلان المعارضة للسياسة البريطانية ومحاربتها والمطالبة بالاستقلال الكامل دون إبطاء أو تأخير حتى يتسنى للشعب الصومالى فى المحمية أن يتوحد مع أشقائه فى الصومال الإيطالى عام ١٩٦٠ حين ينتهى أجل الوصية الدولية هناك وأصدر الحزب صحيفة أطلق عليها قرن أفريقيا كرست جهودها لكشف المخططات الاستعمارية والرجعية كما عملت على توعية الشعب ونتيجة لذلك استجاب الشعب إلى دعوة الحزب لمحاربة الاستعمارية والرجعية وشن نضال عنيف عليهما ومما يؤكد هذه الحقيقة استجابة الشعب لقرار الحزب بمقاطعة المجلس التشريعى ، بحيث لم يزد عدد من سجلوا أسماءهم فى الدوائر الانتخابية للمدن الرئيسية الثلاث عن ٣ آلاف شخص .

ومن المواقف القوية التى وقفها الحزب ما يلى :

١ – معارضة الحزب للكتاب الأبيض الذى أصدرته بريطانيا عن صوملة الوظائف

التى كان من المفروض أن تنتهى فى عام ١٩٦٨ ، وقال الحزب فى مذكرة بعث بها إلى السلطات البريطانية فى المحمية إن التطور الدستورى وصوملة الوظائف مرتبطان ومتلازمان وإن تأخير أحدهما يعنى تأخير الآخر ، ولذا فإن الحزب يعارض مشروع صومالية الوظائف بشدة .

٢ – مقاطعة المجلس التشريعى الذى أجرى انتخابه عام ١٩٥٩ مقاطعة ناجحة أكدت بصورة لا تقبل الشك ولا الجدل شعبية الحزب واستجابة الجماهير لدعوته .

وكان وزير المستعمرات البريطانى آنذاك « أنكس بويد » قد أدلى بتصريح حول[1] مستقبل البلد السياسى فى اجتماع كبير فى قاعة المحكمة العليا بهرجسية فى ١٩٥٩/٢/٩ ، تضمن انتخاب المجلس التشريعى الآنف الذكر والذى يضم ١٧ عضواً من الرسميين ، ٣ معينين و ١٣ عضواً منتخبين وقال وزير المستعمرات البريطانى فى الصومال إن بريطانيا توافق على حق تقرير المصير وعلى انتخاب مجلس تشريعى أغلبه من المعينين ولكن مسألة الوحدة متروكة للصوماليين .

وتقدم حزب الرابطة الوطنية الصومالية إلى الوزير البريطانى بمطالب تتكون من نقطتين :

١ –انتخاب مجلس تشريعى منتخب كله من الشعب .

٢ – تحويل السلطة وصلاحية المجلس التنفيذى إلى الشعب خلال عام ١٩٥٩ بحيث تكون السلطات التنفيذية والتشريعية بيد الشعب فى أوائل عام ١٩٦٠ ليتسنى له نيل استقلاله الكامل والوحدة مع الإقليم الجنوبى فى يوليو ١٩٦٠ وأعلن الحزب فى برقية بعث بها إلى وزير المستعمرات البريطانى عقب انتهاء زيارته للمحمية وعودته منها أنه يعارض بشدة الجزء الأول من تصريح الوزير الخاص بانتخاب مجلس تشريعى غالبيته غير منتخبة ولكنه يرحب بالجزء الخاص بموافقة بريطانيا على حق تقرير المصير

---

(١) نشرة مركز البحوث للحزب الاشتراكى الثورى الصومالى .

وترك مسألة الوحده للصوماليين .

وفى هذه الفترة الحاسمة التى يواجه النضال الوطنى الصومالى ظروفاً حرجة ليؤدى دوره النهائى فى تقرير مصير الأمة الصومالية وصنع تاريخها ظهر إلى حيز الوجود فى أكتوبر ١٩٥٩ حزب الاتحاد الصومالى الذى وقف بدوره من قضية التحرير موقفاً مشرفاً وعمل على ترجيح كفة النضال الوطنى فى سبيل نيل الحرية والاستقلال .

وفى نهاية الأمر اضطرت بريطانيا إلى تعديل رأيها تحت الضغط الشعبى وقررت إجراء انتخابات عامة لاختيار مجلس تشريعى من قبل الشعب كله فى ١٧ فبراير عام ١٩٦٠ فاز بها الحزبان الوطنيان المؤتلفان حزب الرابطة الوطنية والاتحاد الصومالى بـ ٣٢ مقعداً من مجموع المقاعد الثلاثة والثلاثين وكان من نتيجة ذلك أن ألف الحزبان أول حكومة صومالية مستقلة فى التاريخ الحديث .

وقرر المجلس التشريعى المنتخب بالإجماع فى جلسته الثانية المنعقدة فى ٦ أبريل عام ١٩٦٠ الاستقلال الكامل والوحدة مع الإقليم الجنوبى فى أول يوليو ١٩٦٠ .

ولكن هذا الحزب الذى قاد نضال الشعب الصومالى فى الإقليم الشمالى بكفاءة ومقدرة انتهى دوره الطبيعى وذاب فى الحياة السياسية فى الصومال بعد الاستقلال واختفى من على المسرح السياسى فى الصومال ، وهذه الظاهرة اشتملت على جميع أحزاب الإقليم الشمالى لأن جميع هذه الأحزاب خلت من المضمون الاجتماعى فى برنامجها واعتبرت أن الاستقلال من الاحتلال البريطانى والوحدة مع الصومال الجنوبى (الإيطالى) وهو نهاية الطريق والإنجاز الضخم ، وعندما تم هذا الشعار أصبحت الأحزاب بدون برنامج أو مضمون اجتماعى يشد الجماهير إليها أو يلتف حولها .

كما أن هناك سببا رئيسيا لاختفاء هذه الأحزاب وهو أن وحدة الصومال الشمالى مع الصومال الجنوبى أصبحت مقديشيو وهى عاصمة الإقليم الجنوبى عاصمة الجمهورية الجديدة انتقل مركز العمل السياسى إلى مقديشيو وأصبحت هرجيسيا

عاصمة الشمال مدينة عادية من مدن الصومال ، واستولى الزعماء السياسيون للإقليم الجنوبي وخاصة زعماء حزب وحدة الشباب الصومالى على مقاليد الحكم ، ولم يتركوا لأهل الشمال إلا أماكن محدودة فى الوزارة أو فى العمل السياسى ، وبهذا أصبحت مقديشيو قبلة للسياسيين ، وقوّى حزب وحدة الشباب الصومالى موقفه ولم يترك لباقى الأحزاب فرصة للنمو أو استكمال الطريق ، وبجانب هذا لعبت القبلية دورها فى مجال السياسة أدى هذا كله إلى تلاشى أحزاب الشمال بهدوء .

الفصل الرابع

التجربة الحزبية فى الصومال
بعد ثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٩

فى الحادى والعشرين من أكتوبر عام ١٩٦٩ قامت القوات المسلحة الصومالية بانقلاب عسكرى وأطاحت فيه بالحكومة واستولت على السلطة بدون إراقة دماء وذلك بعد أسبوع من اغتيال رئيس الجمهورية «عبد الرشيد على شارماركى» فى ظروف غامضة على يد أحد عملاء البوليس، وقد قامت القوات المسلحة الصومالية بهذا الانقلاب بعد أن انتشر الفساد والفوضى ووصلت الصراعات الحزبية على السلطة للقمة، فحينما أجريت الانتخابات البرلمانية فى عام ١٩٦٨ تقدم ٨٨ حزبا بلوائح انتخابية لاختيار ١٩٠ نائباً وسرعان ما تحالف معظم هذه الأحزاب مع حزب وحدة الشباب الصومالى، وهو الحزب الحكومى فى ذلك الوقت لتضمن لنفسها بعض المكاسب وكانت هذه قمة المأساه للتجربة الحزبية الأولى والنهاية المحتومة لها فلقد اندفعت الأحزاب للقتال على سلطة الحكم وتركوا الشعب وانحرفوا عن آماله وزادوا من استغلال النعرات القبلية فى ظل ديموقراطية فاشلة وبذلك مهدوا الطريق لقيام القوات المسلحة بالاستيلاء على مقاليد السلطة لأنها كانت القطاع الوحيد الذى يضم صفوة المتعلمين والمثقفين أو العارفين بشئون بلادهم وذلك نظراً لأن العديد من قياداته قد تلقت علومها فى دول متعددة خارج الصومال وبعد أسبوع من قيام الثورة أعلنت : أهدافها الرئيسية هى :

أولاً : إزالة الفوضى والفساد والروح القبلية .

ثانياً : حظر الأحزاب السياسية .

ثالثاً : الإعداد لانتخابات تجرى فى الوقت المناسب .

وحل محل النظام البرلمانى الملغى مجلس للثورة يرأسه قائد الجيش ويضم خمسة وعشرين من العسكريين من بينهم ستة أشخاص ممثلون عن الشرطة والبقية تمثل عن الجيش .

وبذلك انتهت التجربة الحزبية الأولى فى الصومال ، وبدأت الثانية هنا لتوضيح التجربة الحزبية الثانية فى الصومال يجب أن نتناول سيرة ثورة أكتوبر ١٩٦٩ بشىء من التوضيح لأنه فى ظل هذه الثورة قامت التجربة وهى تكوين وإنشاء الحزب الاشتراكى الثورى الصومالى فى يوليو عام ١٩٧٦ ؛ ولما كان لهذا الحزب سمات معينة أهملها اتخاذ الاشتراكية كمنهج ، وأنه شكل من القاعدة للقمة أى كون له الكوادر الخاصة به ، ثم أعلن تكوينه ، وأن الذى نظم هذه المراحل هى الثورة ، فلهذا نجد أنه لا ستكمال دراسة هذه التجربة علينا أن نوضح عاملين أساسين فى تكوين الحزب الاشتراكى الثورى الصومالى وكيف قامت الثورة بتنفيذهما :

١ – تكوين كوادر الحزب .

٢ – اتخاذ الاشتراكية كفكروأسلوب لحل مشاكلها الاجتماعية والاقتصادية . .

تكوين كوادر الحزب :

لم يكن فى تفكير من قاموا بالثورة تكوين كوادر لها ، لأن الثورة قامت بدون أيدلوجية معينة ، أو لون محدد ، أو مذهب معروف وكان هدف الثورة هو الارتفاع بمستوى البلاد داخلياً وخارجياً والاهتمام باقتصاد الدولة ، وبناء الدولة وكانت هناك عملية سباق مع الزمن لتحقيق نتائج عن طريق توجيه التنمية الاقتصادية والاجتماعية

والثقافية فى كافة أنحاء البلاد بالنسبة للمدن فقط .

واتجه التفكير إلى تحقيق نظام اللامركزية والعمل على تعبيئة الجماهير وتطوعهم لأداء ما يوكل إليهم من مهام وإلى جانب توعيتهم وتثقيفهم ، وقد نجحت فكرة التعبئة فى قطاعات معينة مثل بناء المدارس والطرقات والخدمات الصحية وحفر الآبار وقنوات الرى وإنشاء الحدائق العامة والملاعب وغرس الأشجار وإصلاح الأراضى ، ومن خلال هذا العمل التطوعى قد وفر على الحكومة نفقات باهظة وأدى إلى سرعة إنهاء العمل وأوجد رابطة بين المتطوعين أنفسهم وغرس فيهم حب العمل والولاء للدولة وكانت بذور صالحة لمساندة الحركات التعاونية ووجود كوادر ترتبط بمفهوم واحد مع الثورة وأتاحت أيضاً الفرصة للعمال لقيام مجالس تمثيلية خاصة بهم ، وللفلاحين لجان خاصة بهم فى قراهم يبحثون فيها واجباتهم والتزاماتهم وحقوقهم ، وكذلك الحال بالنسبة للجان الأحياء فى المدن كل هذه كانت البداية الحقيقية لتكوين كوادر للثورة ، وكان أهم واجبات اللجان الآتى :

١ — تنظيم وتنفيذ والإشراف على برامج التعبير الذاتى للعمل التطوعى .

٢ — تطوير وتنمية الأشغال العامة .

٣ — تنفيذ كل ما يتعلق بالمعونة والثقافة والدعاية السياسية .

٤ — تجميع الاقتراحات والآراء والأسئلة التى كان المواطنون يطرحونها وتوصيلها إلى الجهات المسئولة فى العاصمة .

أى أن وظيفة هذه اللجان كانت اقتصادية واجتماعية برغم اختلاف تكوين اللجان فى البادية أو المدن أو القرية ، كما أنها تعتبر موصلا جيداً للرأى العام الجماهيرى ، كما أنها كانت تقوم بتنفيذ رغبات السلطة وسياستها طبقاً لما يصل إليها من أوامر وتوجيهات وهنا يجدر الإشارة أنه ساعد على تكوين هذه اللجان لأن أرض الصومال كانت بكراً من الناحية العقائدية والمذهبية والعمل الاجتماعى ، ولم يكن هناك إلا سلطة الدين .

ومرت هذه اللجان بأكثر من مرحلة ثم قامت الثورة بعد فترة من الزمن بعملية إعادة تقييم للأعضاء ، واستبعد من القيادة القدامى وغير الموالين للثورة ، وحل محلهم قادة جدد من العمال والكوادر التى تكونت فى ظل البرامج التطوعية والتثقيفية ولم يكن هناك جمود فى التشكيل القيادى للجنة بل كثيراً ما تم التغيير السريع إذا لاح من عضو تصرفات انتهازية أو محاولات لجعل المجلس أداة لخدمة المصالح الخاصة أو العمل ضد برنامج أو تعليمات الثورة .

ولما تأكدت الحكومة أن دور اللجان أصبح أساسيًّا بالإضافة إلى رغبتها فى تحقيق اللامركزية أصدر قانون فى يونيو ١٩٧٢ ، أصبحت المجالس بمقتضاه مسئولةَ عن التنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية مع الالتزام بخطة الحكومة وسياستها ، وأصبح هناك التشكيلات الآتية[1] :

١ - المجلس الإقليمى :

ويتكون من رئيس وجميع الممثلين الإقليميّين فى مختلف الوزارات ومن رؤساء كافة مجالس المقاطعات فى الأقاليم ، ومن ممثل واحد عن كل مقاطعة فى الإقليم يختار من الممثلين الذين هم أعضاء فى نفس المجلس .

٢ - مجلس المقاطعة :

ويتكون من رئيس ومن كافة ممثلى القطاع فى الأجهزة الوزارية واثنين من ممثلى البلدية فى المقاطعة .

٣ - مجلس القرية :

ويتكون من مندوبين لا يتجاوز عددهم سبعة أشخاص يختارون سنويًّا من

---

(١) د . حمدى الطاهرى . قصة الصومال .

سكان القرية .

ويلاحظ أن التعيين هو الأساس فى كل هذه المجالس وبجانب هذا كان هناك عمل آخر ساعد فى جهود إظهار الكوادر ، ألا وهو محو الأمية وتعليم اللغة الصومالية ، وبعد قيام الثورة كانت الأمية منتشرة بنسبة ٩٥٪ من الشعب الصومالى واعتبرت الثورة أن القضاء على الأمية هدف من أهدافها ، وهنا ظهرت مشكلة اللغة التى سيتعلم بها الشعب ، وكانت من أمانى الشعب الصومالى هى كتابة اللغة الصومالية لأنها حتى ذلك الوقت كانت لهجة وليست لغة وعقدت الثورة لجاناً لبحث كتابة اللغة الصومالية وانتصر الرأى الذى ينادى بكتابة اللغة الصومالية بالأبجدية اللاتينية ، بدلا من الحروف العربية وكان تأثير الاتحاد السوفيتى كبيراً من هذه الناحية والتسهيلات التى قدمت من آلات كاتبة وخلافه ، وعلاوة على ذلك أن الذى كتب اللغة الصومالية عالم لعويات من بولندا وقد اتبع كتابة اللغة الصومالية حملة كبيرة لمحو الأمية من الجماهير فى كافة أرجاء الصومال ، وقد جُنِّد لهذه الحملة المتطوعون وعددهم مائة وخمسة وعشرون ألف شخص واستخدموا أكثر من خمسمائة سيارة واستمرت حوالى ثمانية أشهر فى عام ١٩٧٥ . كان هدف الحملة بجانب محو الأمية رفع المستوى الصحى بين الجماهير وتثقيفها ، ورفع مستوى الوعى السياسى ، وقد نجحت هذه الحملة وانخفضت النسبة إلى حوالى ٧٢٪ فى أغسطس ١٩٧٥ .

ومن سردنا السابق يتضح أن الثوره أصبحت جاهزه بكوادر فى البادية والقرية والمدينة ومرتبطة بشكل وثيق معها .

اتخاذ الاشتراكية كمنهج للثورة :

إن اختيار الثورة الصومالية الاشتراكية الماركسية كطريق لها ، لم يكن وليداً مع الثورة بل كانت هناك عدة مقدمات لها فقد كان الحزب الشيوعى الإيطالى يمارس

نشاطه وينشر مبادئه بين أواسط المثقفين فى الصومال الإيطالى ، واستطاع أن ينجح فى خلق كوادر مرتبطة به ، ثم أعلن استقلال الصومال عام ١٩٦٠ ولم يكن عدد الصوماليين الحاصلين على مؤهلات عالية كاف لتسيير أمور الدولة ولم يكن أمام الحكومة الجديدة وسيلة إلا إرسال الشباب للخارج ، وظلت البعثات ترسل إلى الخارج حتى وصلت أعدادها أكثر من الألف ، عام ١٩٦٨ كالآتى[(١)] :

٤٨٢ طالباً فى الاتحاد السوفيتى .
٢٧٢ طالباً فى إيطاليا .
١٥٢ طالباً فى مصر.
٨٦ طالباً فى الولايات المتحدة الأمريكية .
١٣٨ طالبا فى ألمانيا الاتحادية .
٤٨ طالباً فى تشيكوسلوفاكيا .
٤٠ طالباً فى المملكة العربية السعودية .
٤٠ طالباً فى السودان .
٣٤ طالباً فى المملكة المتحدة .
٣٠ طالباً فى فرنسا .
٢٩ طالباً فى الهند .
٢٧ طالباً فى ألمانيا الديمقراطية .
٢١ طالباً فى يوغسلافيا .
٣ طلاب فى سويسرا .
١٠ طلاب فى بلدان متفرقة .

ومن دراسة هذا البيان نجد أن أكثر من ٦٠٪ يدرسون فى معاهد دول الكتلة

(١) د . حمدى الطاهرى . قصة الصومال .

الشرقية علاوة على عدد كبير من إيطاليا ، حيث الحزب الشيوعى الإيطالى وكذلك نجد عدد ١٥٢ طالباً فى مصر وهى فى ذلك الوقت كانت ثورة ٢٣ يولية قد وضحت فيها معالم حتمية الحل الاشتراكى وكذلك وضع الطلبة الصوماليون – بتعليمات من الحكومة المصرية – مدرسة حلوان ذات التربية الاشتراكية ، وكانت تضم كل الطلاب من الأقطار العربية وأدل مثل على هذا أن « عبد الفتاح إسماعيل » رئيس اليمن الجنوبى الماركسى من خريج هذه المدرسة .

ثم أنشئ فى عهد الاستقلال فى ١٠ أبريل عام ١٩٦٠ جيش الصومال والذى شعر قادته بأهمية السلاح لأنها محاطة بأعداء لها بالحبشة وكينيا اللتان تستوليان على جزء من الصومال الكبير والتجأ الصومال إلى الغرب لتسليحه فى عام ١٩٦٤ ولكن لم يجد آذانا مصغية وعاد الوفد المكلف ببحث تسليح جيش الصومال عن طريق القاهرة صفر اليدين وفى القاهرة تقابل رئيس الوفد الصومالى وكان آنذاك « اللواء محمد زياد برى » نائب رئيس الأركان[١] مع الرئيس الراحل « جمال عبد الناصر » وعرض عليه الموقف فتوسط الرئيس الراحل « عبد الناصر » للصومال لدى الاتحاد السوفيتى لإمدادها بحاجتها من السلاح ، وكان ذلك بدايه لتسليح الجيش الصومالى عن طريق الاتحاد السوفيتى ، وإيفاد الخبراء السوفيت إلى الصومال لإنشاء جيش جديد ، وكان مقدمة أيضا لإيفاد الكثير من العسكريين والمدنيين الصوماليين للدراسة بالاتحاد السوفيتى .

ثم قامت الثورة فى أكتوبر عام ١٩٦٩ ولم يكن فى نيتها تبنى خط معين ، بل إن الثوره كانت تجد مسئوليتها الرئيسية فى إعطاء كل ذى حق حقه وخلق المواطن الصومالى الصالح فأعلنت ميثاقها الأول وكان[٢] :

---

(١) د حمدى الطاهرى قصة الصومال

(٢) د . حمدى الطاهرى قصة الصومال

(أ) بالنسبة للسياسة الداخلية :

١ – تكوين مجتمع قائم على حق العمل وعلى مبدأ العدالة الاجتماعية مع مراعاة ظروف المجتمع الصومالى .

٢ – إعداد وتوجيه برامج التنمية الاقتصادية والثقافية من أجل التقدم السريع للبلاد .

٣ – القضاء على جميع أشكال الفوضى وجميع أنواع الفساد والنظام السيىء للحكم وتفشى العادات السيئة فى نشاطات الحكومة .

٤ – خلق الظروف الأساسية لكتابة اللغة الصومالية وذلك باتخاذ الخطوات الصحيحة اللازمة .

٥ – القضاء على الأمية وتطوير تراث ثقافى قومى مستقر للشعب الصومالى .

٦ – إلغاء جميع الأحزاب السياسية .

٧ – إجراء انتخابات عادلة ونزيهة حينما يحين الوقت المناسب .

(ب) بالنسبة للسياسة الخارجية :

١ – دعم التضامن الدولى وحركات التحرير الوطنية .

٢ – معارضة جميع أنواع الاستعمار والاستعمار الجديد والإمبريالية ومحاربتهم جميعاً .

٣ – النضال من أجل الوحدة القومية الصومالية والمحافظة عليها .

٤ – الاعتراف التام بمبدأ التعايش السلمى بين جميع الشعوب .

٥ – انتهاج سياسة الحياد الإيجابى والمحافظة عليها .

٦ – الالتزام بجميع المعاهدات والاتفاقيات الدولية التى تمت مع الحكومة السابقة .

وبدأت الثورة فى تولى الحكم فى الصومال وفى أثناء قيامها بإصلاح الدولة والحكومة اضطرت إلى القيام ببعض الإجراءات التى تهيئ لنمو الاشتراكية بدون نقد من الثورة وذلك لمواجهة ظروف الدولة وتصحيح اقتصادها منها أن أممت بعض الصناعات البسيطة الموجودة ، وكذلك نظمت ميليشيا شعبية وتعتبر ذات قوى عسكرية سياسية فى الصومال وصادرت أملاك البورجوازية الوطنية ، وسيطرت على مصادر الإنتاج ، ولما وجدت الثورة الخطوات التى اتخذوها قد حققت نجاحات على الصعيد الشعبى ، وأن وعياً اجتماعياً أصبح حقيقة خاصة فى المدن والقرى رأى مجلس الثورة ضرورة أن يكون للثورة محتوى فكرى معين ، وكان أمامهم الاختيار بين ثلاث أيدلوجيات : إسلامية ، أو غربية ، أو شرقية . ورفضت كل من الأيدلوجية الإسلامية على أساس أن التجارب السابقة مع رجال الدين كانت سبباً من أسباب ما تعانيه الصومال من جمود ، حيث أن غالبية رجال الدين كان كل مهم يفسر القرآن لصالح القبيلة أو المجموعة التى يمثلها ، ورفضت أيضاً الأيدلوجية الغربية لأن مرارة الاستعمار التى عانت البلاد منها ، سواء الإيطالى أو الإنجليزى أو الفرنسى ، والاستغلال الذى كان الشعب الصومالى ضحية له ، وعدم قيام أى مستعمر بأية إصلاحات ، بالإضافة إلى العداء الذى اكتسبته الثورة من الدول الغربية إثر قيامها بتنفيذ بعض إجراءات من تأميات أو إنهاء احتكار ، فلم يبق إلا أيدلوجية الشرق ، وقد وجدت كثيراً من الأنصار يؤيدونها فكثير من أعضاء مجلس الثورة تلقى علومه فى موسكو والجيش سلاحه ومعداته وخبراؤه سوفيت وأن الدول الشرقية اتخذت موقفاً إيجابياً فى مساندتها للثورة ، وكذلك لم يكن لهذه الدول ماضى استعمارى فى المنطقة ، وإلى جانب ذلك أن مصر فى عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر كانت قد اتخذت خطاً شبيهاً بذلك ، وكانت لمصر مكانتها فى قلوب الصوماليين.

وفى ٣١ يناير عام ١٩٧٢ أعلن رئيس المجلس الأعلى للثورة الرئيس « محمد زياد

برى » الميثاق الثانى للثورة متضمناً أن الاشتراكية العلمية هى أنسب شيء بالنسبة للإسراع فى تنمية الصومال .

وتضمن الميثاق الثانى النقاط التالية[1] :

١ - اشتراكيتنا واحدة فقط هى الاشتراكية العلمية .

٢ - ستطبق الاشتراكية فى الصومال طبقاً لظروف الصومال .

٣ - ستكون عقيدة الشعب الصومالى موضوع احترام ووفاق دون أن يسمح للقوى الرجعية أن تستعملها كوسيلة لخلق البلبلة والاضطراب بين الجماهير من أجل إضعاف الوحدة الوطنية ، أو من أجل إعاقة التقدم القومى .

٤ - ستكون الممتلكات الخاصة موضع احترام ، ولكنها ستكون عرضة للرقابة الحكومية حتى لا يكون هناك استغلال إنسان لآخر .

٥ - سيحظى العمل الجماعى من أجل زيادة الإنتاج بكل اهتمام .

٦ - ستدعم الوحدة القومية .

٧ - ستتم إعادة العدالة والأمن والمساواة إلى مستواها ومكانتها الطبيعية فى جميع مجالات الحياة فى المجتمع .

٨ - ستدافع عن الثورة ضد جميع القوى التى تقف فى سبيل التقدم السياسى والاقتصادى والاجتماعى السريع . .

وقامت الثورة بعد ذلك بتطبيق هذا الميثاق ولكنها أدركت أنه لتحقيق هذا الهدف ، لابد من التفاف الجماهير حولها ، وكانت القضية الرئيسية أمام جميع الحكومات هى أن الوعى السياسى لم يتضح بعد عند غالبية السكان والرابطة بين المدينة والريف ضعيفة وأهمية توصيل صوت الحكومة ومخططاتها للشعب وتوصلت الثورة إلى

(١) د . حمدى الطاهرى قصة الصومال

التفكير فى إنشاء مراكز أطلق عليها مراكز الإرشاد القومى فى كل حى من أحياء المدن الصومالية وكان الهدف الرئيسى هو توحيد الشعب سياسيًا وعقائدياً بالإضافة إلى قيامها بدور هام فى مجال الثقافة والرياضة ، ومن خلال مراكز الإرشاد استطاعت الحكومة أن تنظم عدة حملات للتوعية ضد القبلية والعمل اليدوى والتطبيق الاشتراكى .

وكان أخطر ما قابل الثورة عند قيامها وتبنيها لتلك النظرية رجال الدين وقامت الثورة بواسطة رجالها بالدعاية فى هذا الاتجاه بين الجماهير وأنه لا تناقض بين الدين والحل الاشتراكى . .

تكوين الحزب الاشتراكى الثورى الصومالى :

مابدأ عام ١٩٧٦ حتى كانت الظروف مواتية لتكوين حزب للثورة وأن الثورة استطاعت تكوين الكوادر اللازمة فى المدن والقرى والبادية المرتبطة مصالحها بالحزب وذات فكر واحد وتستطيع تنفيذ تعليمات الحزب وكذلك استطاعت نشر تنفيذ الاشتراكية العلمية فى البلاد وهو المضمون الفكرى والاجتماعى للحزب ولهذا فى أول يوليه عام ١٩٧٦ أعلن تكوين الحزب الاشتراكى الثورى الصومالى وأعلن برنامج العمل الخاص به وكانت الركائز التى بنى عليها البرنامج هى[١] :

١ — إن الاشتراكية ليست لها ألوان متعددة فهى اشتراكية واحدة هى الاشتراكية العلمية وأن تظهر أهمية السيطرة على وسائل الإنتاج ، وأهمية الطبقة العاملة والاشتراكية العلمية بقوانينها العامة والتى تطبق فى كل بلد وفى كل قارة شريطة لمعرفة هذه القوانين واستخدامها من قبل الاشتراكيين مع اعتبار الظروف الخاصة لكل بلد .

٢ —ارتباط جمهورية الصومال بقارة أفريقيا والتضامن مع شعوبها وتأييدها لحركات التحرر الوطنى ضد الاستعمار

---

(١) برنامج الحزب الاشتراكى الثورى الصومالى . مطبوعات الحزب .

٣ - فساد الحكم فى مرحلة ما قبل الثورة وفشل هذا النظام فى تحقيق أى نجاح للصومال وأن ثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٩ قد حققت الكثير من أمانى الشعب وضرورة المحافظة على منجزات الثورة والدفاع عن انتصاراتها والالتزام بخط ديمقراطى فى حكم البلاد يطبق نظام الحزب الواحد.

٤ - من ناحية السياسة الخارجية ضرورة تنمية علاقات الصداقة مع الدول الاشتراكية والتقدمية والارتباط بجامعة الدول العربية وشعوبها، كما أن جمهورية الصومال الديمقراطية أصبحت عضواً نشيطاً فى الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الأفريقية ودول عدم الانحياز.

٥ - الالتزام بالميثاق الأول والثانى لثورة أكتوبر ١٩٦٩.

برنامج الحزب الاشتراكى الثورى الصومالى:

أولا: إن الحزب من النوع الجديد باختلافه عن الأحزاب التى كانت قائمة قبل ثورة أكتوبر.

١ - يأخذ على عاتقه مهمة بناء مجتمع العدالة والمساواة والوحدة والتقدم.

٢ - إنه حزب ثورى لأنه لا يهدف الاستيلاء على السلطة فحسب. وإنما عليه إحداث التغييرات الثورية فى المجتمع.

٣ - يمثل ويدافع عن المصالح الحقيقية لجماهير الشعب الصومالى وخاصة الشغيلة والقوى التقدمية فى البلاد.

٤ - ليس الحزب نادياً للمناقشات العقيمة فقط، وإنما هو المنظم والمربى والمرشد للجماهير.

٥ - ويسترشد الحزب فى أعماله على أسس مبادئ الأمية العالمية.

٦ - يمتلك القدرة على تطبيق القوانين العامة للاشتراكية العلمية على الواقع

(١) برنامج الحزب الاشتراكى الثورى الصومالى... مطبوعات الحزب.

الخاص لهذا الوطن ، ويحدد مهمات كل مرحلة وينفذها ويضع برنامجاً علمياً يتناول السياسة الداخلية والخارجية للدولة .

٧ — والمهمة الأساسية للحزب من الناحية الاقتصادية هى القضاء على التخلف الاقتصادى والتكنولوجى وخلق القاعدة المادية والعلمية لبناء المجتمع الاشتراكى الصومالى .

وللوصول إلى هذه الأهداف يتعين أولا وقبل كل شىء تنفيذ المهام المباشرة التالية :

(ا) ضرورة قيام الدولة بوضع الخطط فى القطاعات الرئيسية للاقتصاد ومراقبتها كشرط أول لتحقيق التقدم والقيادة العلمية .

(ب) تطوير قطاع الثروة الحيوانية الذى يمثل العمود الفقرى للاقتصاد الوطنى ورفع مستوى معيشة الرعاية ويجب أن يتناول هذا التطوير فى مجالات تنمية المراعى والرعاية الصحية للثروة الحيوانية وإنتاج السلالات الجديدة منها ، وزيادة إنتاجها ، وإنشاء حظائر الدولة لتربية المواشى ، وإقامة التعاونيات لتنمية الثروة الحيوانية ولتزويد الشعب والمصانع بحاجتهم من هذه الثروة .

(حـ) رفع إنتاجية الأراضى الزراعية ولتحقيق هذا الهدف يجب استصلاح الأراضى الجديدة ، وإنشاء قطاع الدولة والتعاونيات فى الزراعة ، واستخدام الطاقة الكهربائية والتكنولوجيا الحديثة وميكنة الزراعة التقليدية وزراعة منتجات جديدة إلى جانبها ، وذلك بهدف إشباع حاجة الشعب والمصانع إلى المنتجات الزراعية ويضاف إلى ذلك توفير مخزون احتياطى لمواجهة المصاعب وخاصة فى فترات الجفاف ، والسير قُدماً ببرنامج توطين الرعاة للقضاء على نظام الترحل فى الرعى ، وتحقيق حياة الاستقرار ، والتقدم بالنسبة للرعاة ، وخلق نظام التعاونيات فى الرعى .

(د) تقوية وتطوير قطاع الدولة فى الصناعة الذى يعتبر شرطاً أساسياً لتنمية

الاقتصاد الوطنى ، وبناء المصانع الجديدة وتطوير القديمة منها للتحرر من الارتباط بالسوق الخارجى وحل مشكلة البطالة وإشباع احتياجات الشعب من السلع الصناعية .

(هـ) وضع نظام موسع لحل مشكلة المياه بالنسبة للعشب والمواشى والمزارع والمصانع وتوسيع شبكة الطرق والمواصلات البرية والبحرية والجوية ووسائل الاتصال وبناء الإذاعة المرئية (التلفزيون) ، وخلق شبكة للاتصالات تغطى حاجتنا فى الاتصال الداخلى والخارجى .

(و) توفير وتقوية مدخرات العملة الصعبة ورقابة الدولة فى الصناعة والتجارة الداخلية والخارجية والمؤسسات للدولة عن طريق زيادة الإنتاج وتطوير نظام المالية ، وتحسين نظام الضرائب .

(ز) الاستفادة الكاملة من الاستثمارات الخاصة سواء من الداخل أو الخارج ، واستخدامها فى التنمية الصناعية والزراعية والتجارة ، وذلك بشرط تمشى هذه الاستثمارات مع الخطة العامة للدولة وخضوعها لرقابتها .

(ح) تنمية التجارة الخارجية المبنية على مبدأ المنفعة التبادلية والمساواة وزيادة الصادرات ، واستيراد المواد الضرورية للاقتصاد الوطنى .

(ط) يهتم الحزب بوضع نظام التأمينات الاجتماعية المتعلقة بحماية الصحة العامة للمجتمع الجديد وتقدمه ، سواء من الناحية المعنوية أو الجسمية .

والوصول إلى هذه الأهداف يتطلب ما يلى :

١ – الاهتمام المستمر فى تكملة العلاج المجانى ، وذلك عن طريق بناء المستشفيات ، وخاصة مستشفيات الولادة والرعاية الصحية للأمهات والأطفال ، وزيادة عدد الأطباء ، وبناء مصانع الأدوية الوطنية ، ومقاومة الأمراض المعدية ، ووضع برنامج لرفع الوعى الصحى .

٢ – تحقيق نظام التعليم الإلزامى فى المرحلة الإعدادية ، وبناء المدارس اللازمة لها وتزويدها بالأدوات والكتب الضرورية إلخ . .

٣ – توسيع وتقوية نظام تعليم الكبار والشباب العامل ، وتطوير نظام التعليم الفنى ، ورفعه إلى مستوى التعليم الثانوى والجامعى ، بهدف خلق كوادر فنية تكفى احتياجات الاقتصاد الوطنى .

٤ – ربط المناهج الدراسية بالتنمية الاقتصادية والثقافية والسياسية على ضوء بناء المجتمع الاشتراكى .

٥ – تطوير الثقافة الاشتراكية من خلال الاستفادة من الثقافة الوطنية والتقدمية واستيعاب المعرفة والثقافة العالمية التى تطورت عبر تاريخ المجتمع الإنسانى .

٦ –تشجيع الفن والأدب والفنون الشعبية الوطنية .

٧ – خلق الأسر المتينة للرياضة التى تفيد النشىء وتخلق فيه روح العمل والدفاع عن الوطن .

٨ – تكملة وتحسين نظام المعاشات والتأمين الاجتماعى للشعب والمحافظة عليه .

أما فى حقل الحياة السياسية :

ثانيًا : فإن الحزب يلعب الدور الأول فى تطوير الأسس الديمقراطية للمجتمع الاشتراكى باتخاذ الخطوات التالية :

١ – إعداد وتحضير الدستور الجديد للجمهورية .

٢ – إقامة وتطوير المؤسسات المركزية والإقليمية للسلطة وفقاً لروح ومبادئ الاشتراكية العلمية .

٣ – تنمية وتقوية مؤسسات الدولة وتربية وتوعية (الشغيلة) الصومالية على فكر الاشتراكية العلمية ، وخلق دماء جديدة من الكوادر المستعدة للتضحية من أجل

أهداف الثورة .

٤ – تشجيع حركة العمل المنظمة وربط هذه الحركة بقيادة ورقابة الدولة للاقتصاد الوطنى لتأمين سير العمل فى المصانع وهيئات الدولة الأخرى .

ثالثا : فى حقل السياسة الخارجية :

فإن الحزب يهتم بتنفيذ المبادىء التى وردت فى الميثاق الأول للثورة ، أو المهام الحالية المطروحة أمامه والتى تتضمن ما يلى :

١ – النضال المستمر الدءوب ضد الإمبريالية والاستعمار الحديد والتفرقة العنصرية ومن أجل التعايش السلمى بين الدول ذات الأنظمة الاجتماعية المختلفة . والاستقلال الوطنى والسلم فى العالم .

٢ – التضامن مع حركات التحرر الوطنى ، وكذلك التضامن مع نضال الشعوب الأفريقية فى سبيل حريتها الكاملة .

٣ – ويعمل الحزب من أجل تحقيق تعاون مثمر بين القارة الأفريقية وخاصة فى شرق أفريقيا والعمل على حل المشاكل القائمة بينها بالطرق السلمية والتفاهم المتبادل .

٤ – الدعم الكامل للنضال العادل للشعب الصومالى الذى مزقه الاستعمار فى سبيل الوصول إلى حريته وتحقيق وحدته .

٥ – المشاركة الفعالة فى أعمال الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الأفريقية والأمم المتحدة وغيرها من المنظمات العالمية

٦ – تطوير علاقات التعاون الثنائية والمتعددة بين الدول الأفريقية والعربية .

٧ – تأييد النضال الذى تخوضه الأمة العربية ضد ضغوط وهجمات الإمبريالية والصهيونية فى سبيل تحرير الأراضى العربية المحتلة ، واستعادة الحقوق الشرعية للشعب الفلسطينى .

٨ – تقوية علاقات التعاون والصداقة بين جمهورية الصومال الديمقراطية ، والدول الاشتراكية ، وتنمية العلاقات مع الأحزاب والتنظيمات الاجتماعية فى هذه الدول .

٩ – تأييد نضال الطبقة العاملة فى الدول الرأسمالية وكذلك تأييد جميع القوى التقدمية فى العالم .

القوات المسلحة :

ويؤمن الحزب أنه فى هذه الفترة الجديدة تلعب القوات المسلحة الدور الأول فى بناء المجتمع والدفاع عن الوطن ، ويولى الحزب اهتمامًا خاصاً فى تقوية القدرة الدفاعية للوطن ، وتزويد القوات المسلحة بالإمكانيات التكنولوجية وتقوية قدراتها الدفاعية وتطوير الوعى السياسى فى وسطها ، وتربية الجنود تربية وطنية ، وخلق روح الدفاع عن مبادىء الاشتراكية العلمية ، والتضحية من أجل الوطن فيها .

فلسفة الحزب :

ويعمل الحزب بثبات فى الدفاع عن منجزات الثورة وحمايتها من المؤامرات الرجعية والثورة المضادة سواء من الداخل أو من الخارج ، كما يعمل على حماية أمن المجتمع والقوى المخلصة لتنمية الوطن ، والدفاع عن الشرعية والاشتراكية ، وتدعيم مؤسسات الأمن والشرطة وطلائع النصر فى الجمهورية ، وذلك من خلال تحسين قدراتها العلمية ، ورفع الوعى السياسى لدى أفراد هذه المؤسسات ومدها بكوادر من (الشغيلة) تؤمن بمبادىء الثورة .

ونكون واهمين إذ اعتبرنا أن الحزب وحده يستطيع بناء المجتمع الجديد بمعزل عن الجماهير الشعبية وإنما يتم ذلك بالتفاف الجماهير الشعبية حول الحزب .

ولتنفيذ مهمات البناء الاشتراكي فإن الحزب يرتكز على العمال والفلاحين والرعاة والتجار الصغار والقوات المسلحة والمثقفين والتقدميين ، ولذلك فإن قدرة الحزب تأتى من ارتباطه الدائم بالجماهير الشعبية ، ويقود الحزب هذه الجماهير باعتماده عليها من خلال منظمات العمال والنساء والشباب والمنظمات الاجتماعية الأخرى ، كما يرتبط بعلاقات قويه بمؤسسات الدولة الأخرى .

وتفرض طبيعة الحزب باعتباره أعلى شكل تنظيمى سياسى ، أن يوجه ويقود نشاطات المنظمات الاجتماعية ومؤسسات الدولة ، فبدون القيادة السياسية والفكرية والتنظيمية للحزب وإن لم يؤد الحزب هذا الدور – يترتب على ذلك فقدان الاتجاه ، وخطورة التعرض للسياسة الإمبريالية وضياع اليقظة الثورية بالنسبة للمنظمات الجماهيرية وهيئات الدولة وتسلل القوى المعادية للثورة فى وسطها .

ولهذا يكتسب العمل السياسى للحزب أهمية كبيرة ويتطلب ذلك إلى البحث والدراسة الدائمة ، وتطوير نظرية الاشتراكية العلمية والتربية السياسية لأعضاء الحزب وجميع (الشغيلة) والقيادة السياسية للتعليم الجماهيرى ، ووسائل الإعلام ، والنهوض بالأدب والفن .

إن الإيمان بأفكار الاشتراكية العلمية هو الضمان الوحيد لحماية وتطوير الخط السياسى ويرى الحزب أن الدين الإسلامى هو عقيدة الشعب الصومالى ، وقد لعب دوراً كبيراً فى نضال الأمة ضد الاستعمار والظلم والجهل وذلك لأن الدين الإسلامى يدعو إلى المساواة والعدالة والتقدم فى حياة الأمة .

إن الثورة الصومالية اعتباراً لكل ذلك قد أعادت للدين الإسلامى حرمته ، وقد قامت برفع شأن الدين بتطوير التعليم الدينى ، والعمل على تدريسه فى المساجد والمدارس .

إن الحزب وهو يؤدى واجبه بطريقة مخططة ومنظمة فى نشر أفكار الاشتراكية

العلمية يؤمن بأن من واجبه كشف وفضح الممارسات والأفكار الإمبريالية وعملائه فى الداخل .

إن البناء الاشتراكى يحتاج إلى إعطاء الاهتمام الخاص والتقييم الصحيح لتربية وإعداد الكوادر الحزبية وكيفية توزيعها على المجالات المختلفة ، وبهذا الصدد ، يلعب معهد العلوم السياسية دوراً كبيراً ، إن المعهد يقوم بمهمة توعية وتطوير وإعداد الكوادر للحزب والمنظمات الاجتماعية والمؤسسات العلمية ويعتبر الأساس لخلق التعليم الحزبى والتوجيه السياسى فى الصومال .

إن الخبرات والنتائج التى تحققها جهود الجماهير الشعبية والتضحيات التى تبذلها كوادر الحزب فى المرحلة القريبة والبعيدة لدفع الثورة ، يرتبط عضويًا بمدى إنجاز مهمة بناء الحزب السياسى من النوع الجديد ، ومدى قدرته فى كسب تأييد جماهير (الشغيلة) وقدرته فى تنظيم قوى هذه الجماهير وتوجه إمكاناتها الفكرية والعلمية والمعنوية نحو بناء مجتمع الرفاهية والاشتراكية .

النظام الداخلى للحزب الاشتراكى الثورى الصومالى

المادة الأولى :

ابتداءً من أول يوليو عام ١٩٧٦ تم تأسيس حزب سياسى اشتراكى فى الجمهورية الصومالية الديمقراطية يقود سياسة البلد . ويسمى هذا الحزب « الحزب الاشتراكى الثورى الصومالى » ويتكون شعار الحزب من مطرقة ومحراث متقاطعين ، وتقع نجمة العلم الصومالى فوقهما وتحيطهما ورقتان من أوراق الموز .

واجبات وحقوق العضو

المادة الثانية :

يحق لكل مواطن صومالى يبلغ من العمر ١٨ سنة يقر ويوافق على برنامج الحزب ونظامه الداخلى وينفذه ، ويعمل بنشاط فى إحدى خلايا الحزب ، ويسدد الاشتراكات الحزبية باستمرار الانضمام إلى الحزب .

واجبات العضو

المادة الثالثة :

يجب على كل عضو من أعضاء الحزب :

١ – العمل بأمانة فى تحقيق التقدم الاجتماعى لبناء مجتمع الرخاء والرفاهية فى الصومال .

٢ – الوعى الكامل بالخط السياسى للحزب والنضال من أجل تطبيقه .

٣ – النضال من أجل تحقيق أهداف الثورة ومن أجل حماية منجزاتها .

٤ – الدراسة والتطبيق العملى لنظرية الاشتراكية العلمية .

٥ – محاربة القبلية وغيرها من العادات السيئة وكل ما يعوق حركة التقدم الاجتماعى .

٦ – احترام الانضباط وأخلاقيات الحزب والمحافظة على أسرار الحزب والدولة

٧ – الحفاظ على وحدة الحزب كشرط أساسى تعتمد عليه القدرة والإمكانيات الطليعية للحزب

حقوق العضو

المادة الرابعة :

يحق لعضو الحزب :

١ – أن ينتخب وينتخب للجان ومراتب الحزب .

٢ – أن يعبر وبحرية كاملة عن رأيه ، وأن يبدى آراءه فى الاجتماعات والمؤتمرات والجلسات الحزبية وذلك قبل اتخاذ القرار .

٣ – أن ينتقد فى الاجتماعات والمؤتمرات المختلفة أى عضو من أعضاء الحزب .

٤ – أن يشترك فى الجلسات الحزبية واجتماعات اللجان التى يحاسب فيها العضو فى بعض جوانب سلوكه وعمله .

قبول العضو

المادة الخامسة :

إن انضمام أى عضو إلى الحزب بصفه اختيارية وفردية . وعلى ذلك الفرد الذى يريد الانضمام للحزب أن يتقدم إلى الخليه (أو إلى لجنة الحزب بالناحية أو القرية فى حالة عدم وجود الخلية) ما يلى :

١ – طلب انضمام إلى الحزب مكتوب باستمارة خاصة يحصل عليها من الخلية الحزبية أو لجنة الحزب بالناحية أو القريه إلخ . .

٢ –تزكية مكتوبة مقدمة من عضوين من أعضاء الحزب ، يوضحان فيها توفر الشروط الشخصية فيه التى تؤهله للانضمام إلى الحزب .

٣ – يعتبر من يقوم بالتزكية مسئولا عن العضو الجديد ويحاسبهما الحزب عن كل ما يترتب من نتائج إذا كانت التزكية غير صحيحة ويمكن أن تصل هذه المحاسبة إلى

درجة الغرامة أو الفصل من الحزب .

٤ - يبقى طالب الانضمام إلى الحزب مرشحاً فقط وليس عضواً كاملا خلال مدة (٦ - ١٢ شهراً) .

٥ - تتم مسألة قبول العضوية بعد مناقشة وقرار الجلسة العامة للخلية ويتخذ القرار بأغلبية ثلثى الأعضاء المشتركين فى الجلسة ويصبح القرار سارى المفعول فى الحياة الحزبية بعد موافقة لجنة الحزب بالناحية .

٦ - فى حالة بروز شخص ما فى نضاله وخدماته لصالح الوطن يجوز للجنة المركزية قبوله استثنائيًّا لعضوية الحزب بتوصية من لجنة الإقليم بدون التقيد بنظام قبول العضوية .

الانضباط الحزبى

المادة السادسة :

إن الانضباط الحزبى الذى يقف على دعائم قوية يعتبر ضرورة لاغنى عنها بالنسبة للحياة الحزبية ويجب تطبيق قرارات اللجان الحزبية بعد صدورها مباشرة وبطرق صحيحة .

ويمكن تحديد الأخطاء التى يرتكبها الأعضاء بالظواهر الآتية :

(ا) التخريب الموجه ضد وحدة الحزب وسير أعماله وتنفيذها .

(ب) عدم التقيد بقرارات الهيئات العليا للحزب .

(جـ) وتترتب على هذه الأخطاء :

بالنسبة للمنظمات : توجيه اللوم ، تعيين لجنة مؤقتة جديدة ، حل المنظمة كلها واختيار أعضاء جدد فى مكانها .

بالنسبة للأعضاء : إذا ثبت ارتكاب عضو الحزب لإهمال أو خطأ يترتب عليه ما يلى :

- توجيه تحذير شفوى أوكتابى إليه .
- توجيه اللوم الحزبى .
- تجميد مركزه فى الحزب لمدة معينة ، مراقبة ومتابعة مركزه فى الدولة .
- إبعاده عن مسئولية القيادة فى داخل الحزب .

التركيب الداخلى للحزب

المادة السابعة :

يقوم التركيب الداخلى للحزب على مبادئ المركزية الديمقراطية التى تعنى :

(ا) انتخاب اللجان الحزبية من المراتب الأدنى إلى الأعلى .

(ب) توفر الانضباط الصارم الحزبى الذى يعتمد على خضوع الأقلية للأغلبية

(جـ) التزام المراتب الأدنى بتنفيذ قرارات المراتب العليا .

المادة الثامنة :

يقوم التركيب الحزبى على أساس التقسيمات السكنية والإنتاجية ، وتنشأ الخلايا الحزبية فى مراكز عمل الأعضاء ، وتنظم على أساس التقسيمة الإدارية (النواحى – والقرى) . . إلخ .

المادة التاسعة :

يحق للتنظيمات الحزبية اتخاذ القرارات التى لا تتعارض مع قرارات القيادات العليا .

المادة العاشرة :

تتمثل القيادات العليا للتنظيمات الحزبية :

الجلسة العامة : التى تنعقد من الخلايا الحزبية فى المصانع ووحدات القوات المسلحة والتعاونيات ، والمؤسسات التعليمية .

الاجتماعات العامة : وينعقد فى النواحى والقرى والأقاليم .

المؤتمرات العامة : ويختص بالحزب كله وينتخب علناً سكرتارية مكتب أو لجنة لإدارة مداولات وشئون المؤتمر .

الهيئات القيادية للحزب

المؤتمر العام

المادة الحادية عشرة :

يشكل المؤتمر العام أعلى سلطة قيادية ويعكس عن أهدافه وواجباته وغايات الحزب . ينعقد المؤتمر العام بدعوة وإعداد اللجنة المركزية للحزب .

ويحق للجنة المركزية الدعوة إلى عقد مؤتمر عام استثنائى إذا دعت الحاجة إليه ، ويتم إعلان دعوة وجدول أعمال المؤتمر قبل شهر من يوم افتتاح المؤتمر على الأقل . ويقوم المؤتمر العام بالمهام التالية :

١ – يحدد الاتجاهات الأساسية للسياسة الداخلية والخارجية للحزب والدولة .

٢ – يعدل ويوافق على برنامج النظام الداخلى للحزب .

٣ – يصادق على تقرير اللجنة المركزية واللجنة المركزية للتفتيش .

٤ – ينتخب اللجنة المركزية واللجنة المركزية للتفتيش .

خول المؤتمر التأسيسى للحزب اللجنة المركزية سلطة تعديل الدستور إضافة وحذفاً

فى الفقرة ما بين المؤتمر التأسيسى والمؤتمر الأول وذلك إذا دعت الضرورة إلى ذلك ويجب أن تكون هذه التعديلات متفقه ومعبرة مع روح الدستور.

اللجنة المركزية

المادة الثانية عشرة :

تعتبر اللجنة المركزية الهيئة القيادية للحزب فى الفترة ما بين المؤتمرين ، وتقوم بالمهام التالية :

١ – تضع الخط العام لأعمال مؤسسات وهيئات الدولة والمنظمات الاجتماعية .

٢ – تمثل الحزب فى علاقاته الخارجية .

٣ – توافق على تشكيل المنظمات الحزبية فى النواحى والأقاليم والقرى .

٤ – تنظيم وتوجيه أنشطة المنظمات الحزبية .

٥ – تضع الإجراءات لعقد المؤتمرات العامة والجلسات العامة والاجتماعات الحزبية . وانتخاب لجان الهيئات الحزبية ، كما تضع النظام المالى ، وتنظيم التقارير التى تتعلق بأعضاء الحزب . . إلخ .

٦ – تقوم باختيار وتوزيع الكوادر الحزبية وتتأكد من عدم تسليم مراكز كبيرة فى الحزب أو الدولة لمن يثبت عليه تهم (سواء عن يقين أو شك) تتعلق بالتخريب والفساد والتعصب والانتهازية والمحسوبية . . إلخ .

٧ – توجه سياسة التوعية والإعلام والنشر.

نظام عمل اللجنة المركزية

المادة الثالثة عشرة :

تعقد اجتماعات اللجنة المركزية فى أول كل شهر مرة بقرار من المكتب السياسى

وتنتخب اللجنة المركزية :

١ - السكرتير العام

٢ - المكتب السياسى ورؤساء دوائر اللجنة المركزية .

٣ - اللجنة المركزية للرقابة .

وتتم الانتخابات بأغلبية صوت واحد ، وتتم دورات اللجنة المركزية بحضور ثلثى أعضاء اللجنة وتكون قراراتها سارية المفعول بعد الحصول على موافقة الأغلبية ، وإذا تساوت أصوات الموافقين وغير الموافقين يعتبر الجانب الذى يصوت إلى جانبه الرئيس هو الأرجح .

المكتب السياسى
(اللجنة السياسية حسب التسمية الصومالية)

المادة الرابعة عشرة :

١ - يقود المكتب السياسى (اللجنة السياسية) جميع أعمال الحزب فى الفترة ما بين دورات اللجنة المركزية .

٢ - تتكون عضوية المكتب السياسى من السكرتير العام وأعضاء المكتب السياسى فقط أو بعض رؤساء الدوائر .

٣ - تحدد اللجنة المركزية عدد رؤساء دوائر اللجنة المركزية (بعد استشارة المكتب السياسى) .

٤ - يقدم المكتب السياسى التقارير إلى دورات اللجنة المركزية .

السكرتير العام ورؤساء دوائر اللجنة المركزية

المادة الخامسة عشرة :

السكرتير العام للجنة المركزية هو المسئول الأول للحزب ، ويتحمل مسئولية حماية المبادىء الأساسية وتحقيق أهداف الحزب والثورة وتطبيقها ، كما يقوم بتنسيق وتنظيم جميع أعمال الحزب .

ويقوم السكرتير العام بالأعمال اليومية للمكتب السياسى ويرأس دورات اللجنة المركزية ، وإذا دعت الضروره القصوى والحاجة الماسة يحق للسكرتير العام الدعوة إلى عقد جلسة غير عادية للجنة المركزية .

المادة السادسة عشرة :

لكى تتمكن الهيئات الحكومية والاقتصادية والتنظيمات الحزبية من تنفيذ القرارات والتعليمات الحزبية ، ينشأ عدد من الدوائر حسب ما تقتضيه الحاجة .

ويترأس هذه الدوائر أعضاء من اللجنة المركزية .

اللجنة المركزية للرقابة

المادة السابعة عشرة :

تنتخب اللجنة المركزية اللجنة المركزية للرقابة .

تقوم اللجنة المركزية للرقابة بمتابعة سلوك وأعمال الأعضاء بصفة عامة وتنزل العقوبات فى حق الذين يخلون ببرنامج النظام الداخلى للحزب وتوافق على القرارات المتعلقة بالغرامات وتراقب إجراءات قبول العضوية .

يجوز للجنة المركزية مراجعة قرارات لجنة الرقابة .

اللجنة المركزية للتفتيش

المادة الثامنة عشرة :

تقوم اللجنة المركزية للتفتيش بمتابعة سير الأعمال فى الهيئات المركزية والصندوق المالى للجنة المركزية .

التنظيمات القاعدية للحزب

المادة التاسعة عشرة :

تتكون التنظيمات القاعدية للحزب على النحو الآتى :

١ – الإقليم . ٢ – الناحية . ٣ – القرية . ٤ – الخلية .

المادة العشرون :

تقوم اللجان والتنظيمات القاعدية للحزب وفقاً للبرنامج والنظام الداخلى للحزب فى النواحى والقرى والمؤسسات التعليمية والمصانع والمشاريع الإنشائيه والمزارع والتعاونيات والهيئات الحكومية ، وفى وسط القوات المسلحة . إلخ – بالأعمال الآتية :

(ا) العمل السياسى والتنظيمى والأيديولوجى الذى يستهدف تنفيذ قرارات الهيئات العليا للحزب مثل : التعبئة وإثارة حماس أعضاء الحزب والأفراد النشطين والجماهير الشعبية عامة ، بغرض تحقيق المهام المتعلقة بالتقدم الاقتصادى والاجتماعى والثقافى .

(ب) تقديم التقارير عن نشاطاتهم للهيئات القيادية للحزب .

الهيئات القيادية الحزبية فى الأقاليم

المادة الواحدة والعشرون :

يعتبر الاجتماع العام أعلى سلطة قيادية للتنظيمات الحزبية فى الأقاليم ، وفى الفترة ما بين الاجتماعات العامة تتمثل هذه السلطة فى اللجنة الحزبية للأقاليم .

وينعقد الاجتماع العام فى الإقليم (مرة فى كل سنتين على الأقل) بدعوة وإعداد اللجنة الحزبية للأقاليم . . ويستمع إلى تقارير اللجنة الحزبية ولجنة التفتيش للأقاليم ، ويبحث القضايا الحزبية والاقتصادية والثقافية ويصادق الاجتماع العام على اللجنة الحزبية ولجنة التفتيش للأقاليم ينتخب الوفد الذى يمثل الإقليم فى المؤتمر العام للحزب .

المادة الثانية والعشرون :

– تقوم اللجنة المركزية أو المكتب السياسى (اللجنة السياسية) بفرز وترشيح أعضاء هيئة المكتب التنفيذى وسكرتيرى ورؤساء الأقسام فى اللجنة الحزبية للأقاليم .

– تصادق اللجنة الحزبية للأقاليم على هذه الترشيحات .

– تقوم اللجنة المركزية أو المكتب السياسى باختيار وتعيين سكرتيرى ورؤساء الأقسام فى الإقليم إذا دعت الظروف لذلك حفاظاً على مصالح الوطن والحزب والمبدأ .

– يجوز للجنة المركزية أو المكتب السياسى إعفاء الأعضاء فى الهيئات المذكورة من مسئولياتهم إذا دعت الظروف لذلك .

– تنتخب لجنة الحزب الإقليمى لجنة الرقابة للأقاليم كما تقوم بتعيين محررى الجريدة الحزبية .

– تجتمع اللجنة الحزبية للأقاليم مرة كل ثلاثة أشهر .

تقود اللجنة الحزبية للأقاليم نشاطات اللجان الحزبية فى النواحى والقرى وتقوم بمراقبة سير أعمـال هذه اللجان ، كما تستمع إلى تقارير اللجان الحزبية فى النواحى والقرى .

الهيئات القيادية الحزبية فى النواحى والقرى

المادة الثالثة والعشرون :

ويعتبر الاجتماع العام أعلى سلطة قيادية للتنظيمات الحزبية فى النواحى والقرى وينعقد هذا الاجتماع مرة فى كل سنة بدعوة من اللجنة الحزبية للناحية أو القرية . ويستمع الاجتماع العام فى النواحى أو القرية إلى تقارير اللجنة الحزبية فى الناحية أو القرية ، وإلى تقرير لجنة التفتيش الحزبية للناحيه أو القرية .

ويناقش القضايا المتعلقه بالمسائل الحزبية والاقتصادية والثقافية للناحية أو القرية .

ويصادق الاجتماع العام على اللجنة الحزبية للناحية أو القرية ولجنة التفتيش ، والوفد الذى يمثل الناحية أو القرية فى الاجتماع العام للحزب فى الإقليم .

المادة الرابعة والعشرون :

تصادق لجنة الحزب فى الناحية أو القرية على أعضاء هيئة المكتب التنفيذى ، وسكرتيرى اللجنة ورؤساء الأقسام المرشحين من قبل اللجنة المركزية أو المكتب السياسى (اللجنة السياسية) .

– وكما تشير المادة الثانية والعشرون المتعلقة بالهيئات القيادية فى الإقليم ، يجوز للجنة المركزية أو المكتب السياسى فرز وتعيين أعضاء هيئة المكتب السياسى وسكرتيرى ورؤساء الأقسام فى الإقليم إذا دعت الظروف لذلك ، وذلك حفاظاً على مصالح الوطن والحزب أو المبدأ .

– ويجوز للجنة المركزية أو المكتب السياسى إعفاء الأعضاء فى الهيئات المذكورة من مسئوليتهم إذا دعت الظروف لذلك .

– تنتخب لجنة الحزب فى الناحية أو القرية لجنة الرقابة وتقوم بتعيين محررى الجريدة الحزبية وذلك بموافقة اللجنة المركزية .

– تعاون لجنة الحزب فى الإقليم على تعيين رؤساء الأقسام فى الإقليم .

– تقوم لجنة الحزب فى الناحية أو القرية فى تنظيم الخلايا الحزبية فى التعاونيات والمصانع والمدارس والمكاتب الحكومية . . إلخ . كما تقوم بقيادة أنشطة هذه الخلايا وتستمع إلى تقاريرها ، وبدراسة ورقابة قبول العضوية فى هذه الخلايا .

– تجتمع لجنة الحزب فى الناحية أو القرية مرة فى كل شهرين على الأقل .

الخلايا الحزبية

المادة الخامسة والعشرون :

١ – تشكل الخلايا الحزبية فى مراكز عمل الأعضاء مثل التعاونيات والمصانع والمدارس والمؤسسات التعليمية والهيئات الحكومية ووحدات القوات المسلحة .

٢ – لا يقل عدد أعضاء الخلية عن ثلاثة أعضاء .

٣ – تعتبر الجلسة العامة أعلى هيئة للخلية ، وتعقد جلساتها مرة فى كل شهر على الأقل .

٤ – تنتخب الخلية سكرتيرًا أو مساعدًا له (وذلك فى كل سنة) لتنفيذ العمل اليومى وتأمين سيره .

٥ – إذا كان عدد أعضاء الخلية أكثر من ٥٠ عضواً تنتخب الخلية لجنة .

٦ – تعتمد الخلية فى أعمالها ونشاطاتها على برنامج الحزب وقرارات الهيئات الأعلى منها .

٧ – تعمل الخلية فى وسط « الشغيلة » .

٨ – تقوم بتنظيم وتعبئة طاقات (الشغيلة) وتوجهها نحو تحقيق التقدم والرفاهية للشعب الصومالى .

عمل وأنشطة الخلايا الحزبية

المادة السادسة والعشرون :

١ – تقوم بترشيح الأعضاء الجدد للحزب .

٢ – تقوم بإعداد وتنظيم البرامج لدراسة مبادئ الاشتراكية العلمية .

٣ – تهتم وتعطى عناية كبيرة لأعضاء الحزب لكى يصبحوا مثلا يحتذى بهم فى تعاونهم فى العمل والحياة السياسية داخل المصانع والتعاونيات والهيئات الأخرى . . إلخ .

٤ – تساعد اللجان الحزبية فى الناحية والقرية فى أعمالها وتقدم تقاريرها إلى هذه اللجان الحزبية فى الناحية والقرية .

٥ – تعمل على أن يكون العضو مثالا فى تطبيقه للقواعد الأخلاقية (للشغيلة) الصومالية والتى تعنى ما يلى :

– الإيمان بمبادئ الثورة .

– اكتساب الوعى والنضوج السياسى .

– الانضباط الصارم .

– التعاون الرفاقى .

الحزب والتنظيمات العمالية

المادة السابعة والعشرون :

تعتبر التنظيمات العمالية القاعدة التى تهتم وتنفذ الأعمال التى تتعلق بمصالح الشغيلة وتساهم فى تحقيق مهام سياسية الحزب :

١ – تعمل دائما فى توسيع وتطوير الشكل القانونى لها .

٢ – تقوم بتجميع وتنظيم أنضج العناصر من العمال سياسيًّا الذين يكونون العمود الفقرى للنقابات العمالية فى المستقبل .

٣ – يقوم الحزب بقيادة التنظيمات العمالية ، ويهتم بتوسيع دور الرقابة وتنظيمها وترتيبها ، ولا يمكن أن يكون الحزب بديلا للتنظيمات العمالية ولا يقوم بمهامها .

٤ – تعمل الخلايا الحزبية على الاتصال بالتنظيمات العمالية وقيادة أنشطتها وذلك اعتماداً على أعضاء الحزب المنتمين إلى التنظيمات العمالية .

٥ – تعمل التنظيمات العمالية بتوثيق أوامر الاتصال مع اللجان الحزبية فى الأقاليم والنواحى ، وبالتعاون مع التنظيمات العمالية يجب على الخلايا التطبيق العملى للبرامج الاقتصادية والاجتماعية والثقافية لتحقيق التقدم الاجتماعى للمجتمع الاشتراكى .

٦ – تنمية الوعى السياسى وحب العمل وانضباطه لدى العمال .

٧ – الدفاع عن مصالح (الشغيلة) والدولة ومحاربة القوى الرجعية (البروقراطية) والفساد الإدارى وكل ما يساعد على ذلك .

الحزب والقوات المسلحة

المادة الثامنة والعشرون :

إن القوات المسلحة فى الجمهورية الصومالية الديمقراطية تعتبر قوة طليعية من قوى

الشعب الصومالى .

وتؤدى التنظيمات الحزبية فى القوات المسلحة ما يلى :

– إعداد وتسهيل وتحقيق إمكانية تطبيق السياسة الحزبية فى داخل القوات المسلحة . وتنظيم العمل السياسى فيها بهدف تربية الجنود الثوريين بمبادىء الاشتراكية العلمية والحماس الوطنى ولكى يكونوا على استعداد ويقظه دائمة فى محاربة العدو والدفاع عن الوحدة والاستقلال الوطنى .

– تقوم بتنظيم وتعبئة القوات المسلحة لتأدية واجباتها فى رفع قدراتها الدفاعية والسياسية ولتنفيذ التعليمات والأوامر وتوجيهات القيادة والاشتراك فى البناء الاقتصادى والسياسى والثقافى والاجتماعى .

المادة التاسعة والعشرون :

– تشكل التنظيمات الحزبية فى القوات المسلحة طبقاً لتركيب القوات المسلحة .

– تقوم اللجنة المركزية بقيادة وتنظيم العمل الحزبى فى وسط القوات المسلحة عن طريق دائرة الدفاع التابعة للجنة المركزية .

– تأتى القيادة السياسية للقوات المسلحة تحت دائرة الدفاع التابعة للجنة المركزية .

المادة الثلاثون :

باعتبارها جزءاً من الحزب فإن التنظيمات الحزبية فى القوات المسلحة تنمى علاقات التعاون مع التنظيمات الحزبية الأخرى ، وتقدم التقارير السياسية إلى اللجنة المركزية والإقليمية للحزب ، وتساعد التنظيمات الحزبية الأخرى فى البناء الاقتصادى والاجتماعى والثقافى .

الحزب ومنظمة الشباب

المادة الواحدة والثلاثون :

إن منظمة الشباب منظمة اجتماعية وهى أعلى تنظيم يضم أنضج العناصر سياسيًا وأكثرها وعياً من الشباب فى القوات المسلحة والمثقفين والطلبة والعمال والفلاحين وطلائع النصر.

المادة الثانية والثلاثون :

– يقوم الحزب بقيادة منظمة الشباب ويعتبر هذا التنظيم اليد المساعدة ، وقوى احتياطية فعالة للحزب .

– يعمل التنظيم فى خلق اليقظة الثورية وروح التفانى من أجل الحزب والثورة فى الشباب وأن يكونوا على استعداد دائم للحماية وللدفاع عن الوطن .

– تقوم منظمة الشباب بتنظيم وتعبئة الشباب ليساهموا فى بناء المجتمع الاشتراكى ودراسة ونشر المبادىء الاشتراكية العلمية ورفع المعرفة الفنية للأعضاء .

– يجب على كل عضو من أعضاء منظمة الشباب أن يرفع مستواه العلمى والفنى ومساعدة رفاقه فى ذلك .

المادة الثالثة والثلاثون :

– يحق لمنظمة الشباب باتخاذ المبادرات المستقلة والخطوات التى تمكنهم بتنفيذ المهام الحزبية خاصة فى الأماكن التى لا توجد فيها التنظيمات والخلايا الحزبية .

المادة الرابعة والثلاثون :

يحق للجان الإقليمية فى النواحى والقرى لمنظمة الشباب بتقديم توصيات عن أعضاء المنظمة الراغبين فى الانضمام إلى الحزب وتساوى توصية المنظمة بتوصية عضو فى الحزب .

وتتعاون اللجان والخلايا الحزبية فى الإقليم والنواحى والقرى فى أعمالها والمسائل المتعلقة بالتوعية فى وسط الشباب مع لجان الشباب المماثلة من حيث المركز فى الأقاليم والنواحى والقرى ويساعدونها فى تنظيم أعمالها .

المنظمة النسائية

المادة الخامسة والثلاثون :

تعتبر المنظمة النسائية القاعدة التى تقوم بالأعمال المتعلقة بمصالح المرأة بنشر أهداف الحزب فى وسط أعضائها وتقوم بالمهام التالية :

١ – تجميع وتنظيم أنضج العناصر من النساء التى ستكون العمود الفقرى للتنظيم النسائى .

٢ – تنفيذ وتطوير البرنامج الاقتصادى والثقافى للمجتمع .

٣ –تربية النساء والأسرة والأطفال تربية سياسية .

٤ – النضال بشكل دائم ضد القوى الرجعية والفساد ورواسب المجتمع القديم .

٥ – تهتم بالدفاع عن مبادىء الاشتراكية وتربى فى أعضائها روح الوطنية .

٦ – يرتبط المركز الرئيسى لمنظمة النساء بعلاقات مباشرة ودائمة مع اللجان النسائية فى الإقليم والنواحى والقرى ، وكما يرتبط بعلاقات مع المنظمات النسائية العالمية .

المصادر المالية للحزب

المادة السادسة والثلاثون :

تأتى مصادر الحزب المالية وتنظيماته من عائدات الكتب والصحف والمجلات الحزبية . . إلخ . ومن الاشتراكات التى يسددها العضو ومن مصادر أخرى يوافق عليها الحزب .

تدفع الاشتراكات الشهرية للحزب مرة فى كل شهر على النحو الآتى :

يدفع أعضاء الحزب الذين يبلغ دخلهم الشهرى :

من ١٠٠ إلى ١٠٠٠ شلن يدفعون ١٪ .

من ١٠٠١ إلى ١٥٠٠ شلن يدفعون ١,٥٪ .

من ١٥٠١ إلى ٢٠٠٠ شلن يدفعون ٢٪ .

من ٢٠٠١ وأكثر يدفعون ٣٪ .

وعند قبول العضوية يدفع العضو ١٠ شلنات كرسم لدخول الأعضاء .

أما الأعضاء الذين ليس لهم دخل محدد فيدفعون (٢ شلن) شهريًّا .

ملحوظة :

تعنى كلمة الدخل هنا صافى ما يتبقى للفرد من راتبه بعد استقطاع الضريبة . .

السمات المميزة للتجربة الحزبية الثانية :

بعد سردنا لتكوين وإنشاء الحزب الاشتراكي الثوري الصومالي وهو الوليد الشرعي الوحيد لثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٩ نخرج بالسمات الآتية :

١ – إن فترة التجربة الحزبية الثانية قصيرة من الناحية الزمنية ولم تستقر قواعدها .

٢ – تلاحظ شدة التأثير بين ثورة ٢٣ يوليو وثورة ٢١ أكتوبر حتى نرى أن الحزب الاشتراكي الثوري الصومالي شديد الشبه بالاتحاد الاشتراكي العربي من حيث النظام الداخلي بالذات .

٣ – لا تعتبر الديموقراطية في خلال التجربة الحزبية الثانية كاملة لأنها أخذت بنظام الحزب الواحد وعدم السماح بإنشاء أحزاب معارضة ذات أفكار متباينة .

٤ – تم تكوين الميليشيا الشعبية ، وتجدر الإشارة بأن الميليشيا ليست تابعة للحزب ، ولا أحد تنظيماته ، ولكنها أحد التنظيمات التابعة للحكومة (الثورة) ، وينضم إليها الشباب من الجنسين من سن ١٤ إلى ٢٠ سنة ويتلقون تدريبات عسكرية وعقائدية متوخية أفكار الحزب الاشتراكي الثوري الصومالي . وتقوم هذه الميليشيا بالسيطرة على الشارع الصومالي وأعمال الحراسة والإرشاد . .

٥ – يتبنى الحزب الحل الاشتراكي من حيث التأميم للصناعة وفرض سيطرة العمال عليها ، ومصادرة أملاك البورجوازية الوطنية ، والسيطرة على مصادر الإنتاج والتجارة الخارجية والبنوك .

٦ – تمتلك الدولة الصحافة ، فلا يوجد في الصومال إلا جريدة واحدة هي نجمة أكتوبر وتصدر باللغة الصومالية واللغة الإنجليزية واللغة العربية ، كما أن الحكومة تسيطر على الإذاعة ولا يوجد إرسال تليفزيوني ويعتمد الإعلام على لجان الحزب المختلفة لتلقين أفراد الشعب .

٧ – الجيش الصومالى جيش عقائدى ، وله حق التصويت فى الانتخابات وتشكل داخله تنظيمات حزبية ، وتعين بواسطة وزارة الدفاع الصومالية بالاشتراك مع اللجنة المركزية ، على مستوى الوحدات العسكرية ، يتم تعيين اللجان ، وفى هذه اللجان أعطى الحق لإمكان توجيه النقد .

كما أنه ينتخب سكرتير مكتب تنفيذى لقيادة العمل الحزبى ، ولكن لفترة محدودة كما يتواجد فى كل وحدة عسكرية ضابط متفرغ يسمى بالضابط السياسى ، يقوم بأعمال التوجيه السياسى والحزبى بالوحدة . .

٨ – من دراستنا النظام الداخلى للحزب نجد الملحوظات التالية :

(ا) أن الاقتناع عامل أساسى للانضمام للحزب .

(ب) يسمح الحزب للأعضاء بإعطائهم فرص لابداء آرائهم وانتقاداتهم .

(جـ) أن قبول العضو الجديد للحزب يبدأ من القاعدة للقمة ، ينضم أولا للخلية ويعطى له فترة اختبار ، إذا أثبت صلاحية ينضم للحزب وتعتبر الخلية هى القاعدة الأساسية للحزب .

(د) إن اللجنة المركزية هى الهيئة التى تقود السياسة العامة للحزب ، وكذلك هى المنبع الأساسى لفكرة الحزب والتدخل فى شئون المنظمات الحزبية والتعيين والانتقاء لمديرى الأقسام واللجان . .

(هـ) أن نشاط الشباب نظم له (منظمة الشباب) التى تسيطر عليه وتوجهه .

(و) أنشىء للنساء (منظمة نسائية) للسيطرة على النشاط السياسى وقد أعطت الثورة كثيراً من الحقوق للنساء الصوماليات ، من حق الانتخاب ، وحق العمل ، والمساواة فى الأجور ، وبعض الحقوق الأخرى فى قانون الأحوال الشخصية مثل : سهولة طلب الطلاق للمرأة وحق الإرث .

٩ – وبالرغم من قصر مدة الحزب ، فقد استطاعت الحكومة الصومالية بمعاونة

الحزب من إتمام عدة إنجازات خاصة فى المشاريع العامة والاجتماعية مثل : الاشتراك فى محو الأمية ، وعملية توطين البدو ، ومشروعات الشجرة ، وهى مشروعات قصد منها تثبيت الرمال المتحركة لمنعها من أن تغير على الأرض الزراعية ، كما كان للحزب الأثر فى توعية الجماهير والتربية السياسية لها ، وتوحيدها خلف الحكومة ، وقد قدمت الحكومة الدستور الجديد للجمهورية الصومالية الديمقراطية فى شهر يونية عام ١٩٧٩ قام الحزب بواسطة لجانه بمجهود كبير فى شرح الدستور وتوضيحه للجماهير ، وأجرى عملية الاستفتاء ، ووافق عليه الشعب بنسبة ٩٩,٩٪ ثم أجريت أول انتخابات فى جمهورية الصومال الديمقراطية لمجلس الشعب الوطنى على أساس حزب واحد هو الحزب الاشتراكى الثورى الصومالى ، وتقدم المرشحون لهذا الحزب للانتخابات وتم انتخاب مجلس الشعب الصومالى الوطنى فى يناير عام ١٩٨٠ م .

وبعد عرضنا للتجربة الحزبية فى الصومال ، سواء كانت التجربة الحزبية قبل ثورة ٢١ أكتوبر ؛ والتجربة التى تلت قيام الثورة ، نجد أن هذه التجربة بشقيها قصيرة الأمد وحديثة العهد ، وأن ظروف الصومال الخاصة بتمزيقه بين عدة دول استعمارية ، والتخلف الحضارى والثقافى أثرت على هذه التجربة ، وأن القبيلة والدين ، كان لها أثر كبير ، وخصوصاً فى التجربة الأولى ، كما تلاحظ أن كلاً من التجربتين اتخذت لوناً فكريًّا مختلفاً عن الأخرى ، الأولى : كانت غربية المعالم ، والثانية : اشتراكية المعالم ، ولكن كان هناك شىء مشترك بينهما ، ألا وهو مبدأ توحيد الصومال الكبير ، لأنه يعتبر من أهم أمانى وأهداف الشعب الصومالى ، ولا يجرؤ حاكم عن التنازل عنه ، وأنه لما تهاون حكام التجربة الأولى فى هذا المبدأ ، كان عاملا أساسيًّا فى نهاية هذه التجربة ، وقيام الثورة ، كما أن هذا المبدأ أيضاً كان دافعاً لثورة ٢١ أكتوبر عام ١٩٦٩ ، لأن تقوم بحرب الأوجادين فى عام ١٩٧٧ ، بجانب هذا كان هذا المبدأ هو المحور لتجميع الشعب الصومالى وتوحيده من خلال التجربتين . . .

رقم الإيداع	١٩٨٣/٢٤٦٧
الترقيم الدولى	ISBN ٩٧٧-٠٢-٠٤٠٣-X

١/٨١/٢٣٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

تصديق الأمن الحربى : رقم ١١٣٩٣/٤/٤/٣

هذه الصفحات

تتناول فى فصول أربعة تاريخ الصومال ، فتبدأ بجزء من تاريخ الصومال فى العصور الوسطى ، والصراع بين الصومال والحبشة ، ثم تتناول الغزو الاستعمارى لأراضى الصومال ، والثورة التى قاومته طويلاً ..

ثم تعرض هذه الصفحات للتجربة الحزبية فى الصومال قبل الثورة ٢١ أكتوبر ١٩٦٩ وبعدها .

وقد استطاع المؤلف – وهو مؤرخ عسكرى – من واقع زيارته لجمهورية الصومال ، أن يحيط بكثير من الملامح التاريخية لهذا البلد وعلاقته بمصر منذ أقدم العصور .